القادة الشهداء في مُؤتة

من قادة النبي صلى الله عليه وسلم

١ – زيد بن حارثة الكلبي .

٢ – جعفر بن أبي طالب .

٣ – عبدالله بن رَوَاحة الأنصاري .

اللواء الركن محمود شيت خطّاب



فرزة من : مجلة المجمع العلمي العراقي

الجزء الثاني – المجلد الخامس والثلاثون

رجب ١٤٠٤ هـ

نيسان ١٩٨٤ م

القادة الشهداء في مُؤتة

من قادة النبي صلى الله عليه وسلم

١ – زيد بن حارثة الكلبي .
٢ – جعفر بن أبي طالب .
٣ – عبدالله بن رَوَاحة الأنصاري .

اللواء الركن محمود شيت خطّاب

(عضـو المجمع)

زيد بن حارثة الكلبي

نسبه وأيامه الأولى

هو زيد بن حارثة بن شَراحِيل بن عبد العُزَّى بن امرىء القيس بن عامِر بن النّعمان بن عامِر بن عَبْد وُدّ بن عَوْف بن كِنَانة بن عَوْف ابن عُذْرَة بن زيد اللّات بن رُفَيْدَة بن ثَوْر بن كَلْب بن وَبَرَة بن تَغْلب بن حُلْوان بن الجاف بن قُضَاعة بن مالِك بن عمرو بن مُرَّة بن مالِك بن حِمْيَر بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان ، وإلى قحطان جماع اليمن (١) ، وربما اختلف الذين نسبوه في الأسماء وتقديم بعضها على بعض وزيادة شيء فيها (٢) ونقص شيء منها (٣) .

---

(١) طبقـات ابن سعد (٣/٤٠) وانظر أنساب الأشـراف (١/٤٦٧) وسيرة ابن هشام (١/٢٦٥–٦٦) والاستيعاب (٢/٥٤٢) .
(٢) الاستيعاب (٢/٥٤٢) وأسد الغابة (٢/٢٢٤) .
(٣) أسد الغابة (٢/٢٢٤) .

ومن المعلوم أنّ العرب كانوا ولا يزالون يهتمّون بحفظ أنسابهم تسجيلاً ورواية ، ومصادر الأنساب في التراث العربي كثيرة جداً ، وحتى اليوم إذا زرت حيّاً من أحياء العرب ، وسألت طفلاً من أطفالهم عن نسبه ، سرد عليك نسبه إلى بضعة أسماء أو أكثر ، وحفظ الأنساب غير معروف عند غير العرب من الأمم الأخرى ، فلا غرابة في تشكيكهم باستمرار في صحّة الأنساب العربيّة ودقتها ، والمرء عدو ما جهل .

ولا مجال للعربي الأصيل أن يتقبل تشكيك غير العربي بصحّة أنساب العرب ، ولكنّ الشك ينحصر في دقّتها ، وبخاصة إذا ارتفعت إلى عهود سحيقة في القِدَم .

وأم زيد : سُعْدى بنت ثعلبة بن عبد عامِر بن أفلتَ من بني مَعْنٍ من طيّءٍ (٤) .

وزارت سُعْدى أمّ زيد قومها وزيد معها ، فأغارت خيل لبني القَيْن ابن جَسْر في الجاهليّة ، فمرّوا على أبيات بني مَعْن رهط أمّ زيد، فاحتملوا زيداً إذ هو يومئذٍ غلام يَفَعَة قد أَوْصَفَ(٥) ، فوافوا به سوق عُكاظ ، فعرضوه للبيع ، فاشتراه منهم حَكيم بن حِزام بن خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ لعمّته خديجة بنت خُوَيْلِد بأربعمائة درهم ، فلما تزوّجها رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم ، وهبته له ، فقبضه رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم (٦) .

وفي رواية أخرى ، أنّ زيداً كان قد أصابه سباءٌ في الجاهليّة ، فاشتراه حكيم بن حزام في سوق حُبَاشة ، وهي سوق بناحية مكّة كانت مَجْمَعاً

(٤) طبقات ابن سعد (٣/٤٠) وأنساب الأشراف (١/٤٦٧) وأسد الغابة (٢/٢٢٤) (٢/٢٢٤) والاستيعاب (٢ /٥٤٢) والإصابة (٣/٢٥) .

(٥) غلام يفعة : شاب . وأوصف الغلام أو الفتاة : بلغ أوان الخدمة . وأوصف : تم قده .

(٦) طبقات ابن سعد (٣/٤٠-٤١) وأنساب الأشراف (١/٤٦٧) .

للعرب يتسوّقون بها في كلّ سنة ، اشتراه حكيم لخديجة بنت خُوَيلد ، فوهبته خديجة لرسول الله صلىّ الله عليه وسلّم (٧) .

وقيل : رآه النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم يُنَادى عليه بالبَطْحَاء(٨) ، فذكره لخديجة ، فقالت له يشتريه ، فاشتراه من مالها لها ، ثمّ وهبته للنبيّ صلىّ الله عليه وسلّم (٩) .

ويقال : إنّ رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم كان ابتاع زيداً بالشّام لخديجة حين توجّه مع مَيْسَرَة قيِّمها ، فوهبته له (١٠) .

والمتّفق عليه ، أنّ زيداً أصابه سباء ، وكان حرّاً فأصبح عبداً لخديجة ، ثم أصبح للنبيّ صلىّ الله عليه وسلّم ، ولا أهمّية للاختلاف في مَنْ اشتراه ولا في مكان بيعه .

وقد كان أبوه حارثة حين فقده قال :

بَكَيْتُ على زيدٍ ولَم أدْرِ ما فَعَلْ
أحَيٌّ فيُرْجَى أم أَتى دونَه الأَجلْ

فو اللهِ ما أدرى وإنْ كنتُ سائلاً
أغالَكَ سَهْلُ الأرض أَمْ غالك الجبلْ

فيا ليتَ شِعْري هل لكَ الدَّهرَ رجعةٌ
فحسبي من الدنيا رُجوعُك لي بَجلْ (١١)

تذكرُنيهِ الشّمسُ عند طلوعها
وتَعرض ذكراهُ إذا قاربَ الطّفل

---

(٧) الاستيعاب (٥٤٣/٢) .
(٨) البطحاء : المسيل الواسع فيه دقائق الحصى ، والمقصود هنا : بطحاء مكة .
(٩) تهذيب الأسماء واللغات (٢٠٢/١) .
(١٠) أنساب الأشراف (٤٦٧/١) . (١١) بجل : حسب .

وإنْ هَبّتِ الأرواحُ هيّجنَ ذكرَه
فيا طولَ ما حزني عليه ويا وَجَل
سأعمل نصّ العِيْس في الأرضِ جاهداً
ولا أسأم التطوافَ أو تسأم الإبل
حَياتَى أو تأتي علَيّ منيّتي
وكلّ امرىءٍ فانٍ وإنْ غرّه الأمل
وأوصي به قيساً وعَمْراً كليهما
وأوصى يزيداً ثمّ من بعدهم جَبَلْ

يعني جبلة بن حارثة أخا زيد ، وكان أكبر من زيد ، ويعني يزيد أخا زيد لأمه ، وهو يزيد بن كعب بن شراحيل .

ثم إنّ ناساً من بني كلب حجوا ، فرأوا زيداً فَعَرَفهم وعرفوه ، فقال: « بلّغوا أهلي هذه الأبيات ، فاني أعلم أنّهم جزعوا عليّ » ، وقال :

أحِنّ إلى قومي وإنْ كنتُ نائياً
بأني قطين البيت عند المشاعر
فكُفّوا من الوَجدِ الذي قد شجاكُمُ
ولا تَعملوا في الأرض نصّ الأباعر
فاني بحمد الله في خَيْرِ أسْرَةٍ
كرام مَعَدٍّ كابراً بَعْدَ كابِرِ (١٣)

وانطلق الكلبيّون إلى ديارهم ، وأعلموا أباه بمكانه ، ووصفوا له موضعه وعند مَنْ هو ، فخرج حارثة وكعب ابنا شراحيل بفِدائه (١٤)،

---

(١٢) طبقات ابن سعد (٤١/٣) وأنساب الأشراف (٤٦٧/١-٤٦٨) وتهذيب ابن عساكر (٤٥٦/٥) .

(١٣) أسد الغابة (٢٢٥/٢) والاستيعاب (٥٤٤/٢) وطبقات ابن سعد (٤١/٣) .

(١٤) طبقات ابن سعد (٤١/٣) ، وفي أنساب الأشراف (٤٦٨/١) : خرج حارثة وكعب ابنا شراحيل وجبلة بن حارثة بفدائه .

وقدِما مكّة ، فسألا عن النبي صلى الله عليه وسلّم ، فقيل : هو في المسجد ، فدخلا عليه ، فقالا : « يا ابن عبد الله ! يا ابن عبد المطلب ! يا ابن هاشم . يا ابن سيد قومه ! أنتم أهل الحرام وجيرانه وعند بيته ، تفكّون العاني ، وتُطعمون الأسير ، جئناك في ابننا عندك ، فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه ، فإنّا سنرفع لك في الفداء » . قال : « مَنْ هو ؟ » ، قالوا : « زيد بن حارثة » ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « فهل لغير ذلك؟» ، قالوا : ماهو» ؟» ، فقال : « دَعُوه ، فخيِّروه ، فن اختاركم فهو لكما بغير فداء ، وإن اختارني ، فوالله ما أنا بالذي أختار على مَنْ اختارني أحداً » ، قالا : « زدتنا في النّصف وأحسنت » . ودعاه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال : « هل تعرف هؤلاء ؟ » ، قال : « نعم » ، قال : « مَنْ هما ؟ » ، قال : « هذا أبي ، وهذا عمِّي » قال : « فأنا مَنْ قد علمتَ ورأيتَ صُحْبَتي لك ، فاخترني أو اخترهما » ، فقال زيد : « ماأنا بالذي أختار عليك أحداً ، أنت مني بمكان الأب والأم » ، فقالا : « ويحك يازيد ! أتختار العبوديّة على الحريّة وعلى أبيك وعمِّك وأهل بيتك ؟ ! » ، قال : « نعم ! إني قد رأيت من هذا الرّجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبدا » . فلما رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذلك ، أخرجه إلى (الحِجْرِ) (١٥) فقال : « يامَنْ حَضَرَ ! اشهدوا أنّ زيداً ابني ، أرثُهُ ويرثني » ، فلما رأى ذلك أبوه وعمّه طابت أنفسهما وانصرفا ، فدُعِيَ : زيد بن محمّد ، حتى جاء الله بالاسلام (١٦) .

ويبدو من سياق هذا الحديث ، أنّه جرى قبل مبعثه عليه الصّلاة والسّلام ، وكان قدوم حارثة وأخوه مكّة لفداء زيد قبل الاسلام أيضاً .

(١٥) الحجر : حجر الكعبة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٢٢٠-٢٢١) .
(١٦) طبقات ابن سعد (٣ / ٤١-٤٢) وأنساب الأشراف (١/٤٦٨ - ٤٦٩) والاصابة (٣/٢٥) وتهذيب ابن عساكر (٥/٤٥٦-٤٥٧) .

ومما يلفت النّظر ، أنّ زيداً قال لأبيه وعمّه : « إني قد رأيت من هذا الرّجل شيئاً ، ماأنا بالذي أختار عليه أحداً أبدا » ، فما الذي رآه زيد من النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ؟ حسن الخلق ، وحسن المعاملة ؟ ذلك صحيح ، ولكنّه لايكفي لاختياره ، لأنّه اختيار صعب جداً ، لايكون إلاّ من أجل العقيدة وحدها ، فهي وحدها تدفع المرء المؤمن بها إلى التضحية بغير حدود .

وأرجّح أنّ قدوم حارثة وأخيه لفداء زيد ، كان بعد الاسلام ، وأنّ زيداً كان قد أعلن إسلامه وارتبط ارتباطاً مصيرياً بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فهذا هو الذي رآه زيد من هذا الرجل : « النبـوّة » . . .

ولعلّ الدليل على ذلك ، ماجاء في مصدر واحد : « أنّ حارثة والد زيد أسلم حين جاء في طلب زيد ، ثمّ ذهب إلى قومه مسلماً » (١٧) ، فاسلام زيد هو الذي جعله يختار النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على أبيه وأهله ، وإسلام أبيه حارثة ، هو الذي جعله تطيب نفسه فينصرف راضياً .

إسلام زيد

كان الزُهريّ يقول : « أوّلَ مَنْ أسلم زيد بن حارثة » (١٨) ، وكان يقول : « أوّلَ مَنْ أسلم من النساء خديجة ، ومن الرجال زيد بن حارثة(١٩) ، وقال غير الزهري : إنّ أوّل من أسلم زيد بن حارثة (٢٠) .

وكان زيد وعليّ بن ابي طالب رضي الله عنه ، يلزمان النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم ، وكان صلىّ الله عليه وسلّم يخرج إلى الكعبة أوّل النّهار ويصلي صلاة الضّحى ، وكانت قريش لا تنكرها ، وكان إذا صلّى غيرها

---

(١٧) تهذيب الأسماء واللغات (٢٠٣/١) .
(١٨) أنساب الأشراف (٤٧٠/١) . (١٩) أنساب الأشراف (٤٧١/١) .
(٢٠) ابن الأثير (٥٩/٢) .

قعد عليٌّ وزيد بن حارثة يرصدانه (٢١) .

وقيل : إنّه أسلم بعد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فكان أوّل ذكر أسلم وصلّى بعد عليّ بن أبي طالب (٢٢) .

وقيل : أوّل مَنْ أسلم خديجة ، وأسلم عليٌّ بن أبي طالب بعد خديجة ثم أسلم بعده زيد ، ثمّ أبو بكر (٢٣) رضي الله عنهم جميعاً .

وقيل : أوّل مَنْ أسلم خديجة ، ثم آمن من الصبيان عليٌّ ، ثم آمن من الرجال أبو بكر الصديق ، ثم زيد بن حارثة (٢٤) .

ولا أرى تناقضاً في تلك الآراء ، فأوّل مَنْ أسلم من النِّساء خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وأوّل مَنْ أسلم من الرِّجال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وأوّل مَنْ أسلم من الصبيان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأول مَنْ أسلم من الموالي زيد بن حارثة رضي الله عنهم ، فهؤلاء هم الأوائل في الاسلام .

وكان هؤلاء النّفر هم الذين سبقوا إلى الإسلام ، ثمّ تتابع الناس في الاسلام حتى فشا ذكر الاسلام بمكّة وتحدّث به النّاس (٢٥) .

وفي مسألة إسلام أولئك النفر السّابقين خلاف مشهور ، ولكنّ تقديم زيد على الجميع ضعيف (٢٦) ، ولا مسوّغ للخلاف ، فكلّهم أوائل في الاسلام ، كلّ فرد منهم الأوّل على أمثاله من النّاس ، فاذا لم يكن زيد أوّل مَنْ أسلم ، فقد كان بالاجماع من أوائل مَنْ أسلم .

---

(٢١) أنساب الأشراف (١١٣/١) وابن الأثير (٥٩/٢) .

(٢٢) سيرة ابن هشام (٢٦٥/١) وتهذيب ابن عساكر (٤٥٨/٥) .

(٢٣) أسد الغابة (٢٢٦/٢) .

(٢٤) جوامع السيرة (٤٥) .

(٢٥) ابن الأثير (٥٩/٢) .

(٢٦) تهذيب الأسماء واللغات (٢٠٢/١) .

في الطائف

تُوفي أبو طالب عمّ النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم وخديجة أمّ المؤمنين قبل الهجرة بثلاث سنين ، وبعد خروجهم من الشّعب (٢٧) – شِعب أبي أبي طالب – فتُوفي أبو طالب في شوّال أو في ذي القعدة وعمره بضع وثمانون سنة ، وكانت خديجة ماتت قبله بخمسة وثلاثين يوماً ، وقيل : كان بينهما خمسة وخمسون يوماً ، وقيل : ثلاثة أيّام .

وعظمت المصيبة على رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم بهلاكهما ، فقال رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم : « ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب » ، وذلك أنّ قريشاً وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته ، حتى ينثر بعضهم الترابَ على رأسه ، وحتى إنّ بعضهم يطرح عليه رحم الشّاة وهو يُصلّي ، وكان رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم يُخْرج ذلك على العود ويقول : « أيّ جوارٍ هذا بابني عبد مناف ! » ، ثمّ يلقيه بالطريق .

فلما اشتدّ عليه الأمر بعد وفاة أبي طالب ، خرج ومعه زيد بن حارثة إلى ثَقيْف يلتمس منهم النّصر . فلما انتهى إليهم في مدينة الطّائف ، عَمَد إلى ثلاثة نفر منهم ، وهم يومئذ سادة ثقيف ، وهم إخوة ثلاثة : عبد يا ليل ، ومسعود ، وحبيب ، بنو عمرو بن عُمَيْر ، فدعاهم إلى الله ، وكلّمهم في نصرته على الاسلام والقيام معه على مَنْ خالفه ، ولكنّهم ردّوه ردّاً غير كريم .

وقام النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم ، وقد يئسَ من خير ثقيف ، وقال لهم : « إذا أبيتم فاكتموا عليّ ذلك » ، وكره أن يبلغ قومه خبر إخفاقه ،

---

(٢٧) الشعب : انفراج بين الجبلين . (ج) : شعاب .

فلم يفعلوا . وأغروا به سفهاءهم ، فاجتمعوا إليه وألجأوه إلى حائط لعُتْبَة وشَيْبَة ابْنَيْ ربيعة ، وهو البستان ، وهما فيه . ورجع السُّفهاء عنه ، فجلس إلى ظلِّ نخلة وقال : « اللّهمّ إليك أشكو ضعف قوّتي وقلّة حيلتي وهواني على الناس ! اللّهمّ يا أرحمَ الرّاحمين أنتَ ربّ المستضعَفين وأنت ربي ، إلى مَنْ تَكِلُني ؟ إلى بعيدٍ يتَجهّمني ، أو إلى عدوٍّ ملّكتَه أمري ، إنْ لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ! ولكنّ عافيتك هي أوسع لي إني أعوذ بنور وجهك الذي أشرقتْ به الظلمات وصلحَ عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تُنزل بي غضبك أو تَحلَ بي سخطك» (٢٨)

وعاد النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم أدراجه إلى مكّة ، وعاد معه زيد ، الذي كان يلازمه ملازمة الظل ، ولا يفارقه طرفة عين ، بعد أن شهد رحلة النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم إلى الطّائف ، ورأى بعينيـــه ما لاقاه مــن صدود وأذى من أجل الدّعوة إلى الاسلام وفي سبيل الله .

الهجرة

لما أمر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالهجرة إلى المدينة المنوّرة ، هاجر زيد إليها ، فنزل على سعد بن خَيْثَمَة (٢٩) .

وقيل : نزل حمزة بن عبدالمطلب ، وحليفه أبو مَرْثَد كَنّاز بن حُصيْن الغَنَوِيّ ، وزيد بن حارثة الكَلْبِيّ مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، على كُلْثُوم بن الهِدْم ، أخي بني عمرو بن عوف بِقُباء ، ويقال : على سعد ابن خَيْثَمَة (٣٠) .

ومهما يكن الاختلاف في اسم الأنصاري الذي نزل عليه في المدينة أو في ضواحيها ، فقد وجد له في المدينة المنورة مستقراً يأوي إليه ، ليستأنف

(٢٨) ابن الأثير (٩١/٢-٩٢) . (٢٩) طبقات ابن سعد (٤٤/٣) .
(٣٠) جوامع السيرة (٨٩) ، وانظر طبقات ابن سعد (٤٤/٣) .

جهاده في خدمة الاسلام والمسلمين .

وفي المدينة ، آخى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بينه وبين أُسَيْد بن حُضَيْر (٣١) ، وقيل : آخى بينه وبين جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما (٣٢) . وقيل : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم آخى بين زيد وحمزة وآخى بين زيد وأُسَيْد بن حُضَيْر (٣٣) ، وقيل : آخى بين زيد وحمزة (٣٤). ويبدو أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم آخى بين زيد وبين حمزة قبل الهجرة (٣٥) وإليه أوصى حمزة يوم أُحُد حين حضره القتال ، إن حدث به حادث الموت (٣٦) أما مؤاخاة المدينة التي كانت بعـد الهجرة إليها ، فقد آخى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بين زيد وأُسَيْد بن حُضَيْر .

أما المؤاخاة بين زيد وبين جعفر بن أبي طالب ، فقد كان جعفر مهاجراً إلى الحبشة ، وعاد منها هو وصحبه من المهاجرين ومَنْ دخل في الاسلام هناك ، وقدموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في خَيْبَر (٣٧) ، وكانت غزوة خيبر في شهر محرّم من السنة السّابعة الهجرية (٣٨) ، فمن المشكوك فيه أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم آخى بين زيد وبين جعفر في تلك السنة المتأخرة من الهجرة ، بينما جرت المؤاخاة بعد الهجرة مبكّراً .

وهكذا أصبح لزيد في موطنه الجديد ، قاعدة المسلمين الأمينة : المدينة

(٣١) المحبر (٧١) .
(٣٢) تهذيب الأسماء واللغات (٢٠٢) .
(٣٣) طبقات ابن سعد (٣/٤٤) .
(٣٤) الاصابة (٢/٢٦) وتهذيب ابن عساكر (٥/٤٥٧) وأسد الغابة (٢/٢٢٦)
(٣٥) الدرر في اختصار المغازي والسير (١٠٠) .
(٣٦) سيرة ابن هشام (٢/١٢٤) وتهذيب الأسماء واللغات (١/١٦٨) والاصابة (١/٣٧) .
(٣٧) تهذيب الأسماء واللغات (١/١٤٨) .
(٣٨) سيرة ابن هشام (٣/٣٧٨) وفي طبقات ابن سعد (٢/١٠٦) : أن الغزوة في جمادى الاولى سنة سبع الهجرية .

مستقر يأوي إليه ، وأخ يشدّ به عضده ، ومجتمع يتعاون معه في السرّاء والضرّاء .

في غزوة بدر الكبرى .

خرج رسول الله صلّى عليه وسلّم من المدينة باتجاه موقع (بَدْر) يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان على رأس تسعة عشر شهراً من مُهاجَره (٣٩) ، أي في السنة الثانية الهجريّة .

وكان مع المسلمين سبعون بعيراً ، فكانوا يتعاقبون عليها : البعير بين الرجلين والثلاثة والأربعة ، وكان بين النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة بعير (٤٠) ، وفي رواية أخرى كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعليّ بن أبي طالب ومَرْثَد بن أبي مَرْثَد يعتقبون بعيراً ، وكان حمزة وزيد وأبو كَبْشَة وأنَسَة موالي رسول الله صلى الله عليه وسلّم يعتقبون بعيراً (٤١) ، والرواية الثانية هي المعتمدة ، لاجماع أكثر المؤرخين عليها .

وكان من الرماة المذكورين من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في غزوة بدر الكبرى (٤٢) ، وكان لهؤلاء الرماة الأثر العظيم في إحراز المسلمين النصر في هذه الغزوة الحاسمة على المشركين .

وقد قَتَلَ زيد من المشركين يوم بدر حَنْظَلَة بن أبي سفيان بن صَخْر ابن حَرْب بن أميّة ، وكان من مشاهير مشركي قريش (٤٣) .

---

(٣٩) طبقات ابن سعد (١٢/٢) . (٤٠) أنساب الأشراف (٢٨٩/١) .

(٤١) جوامع السيرة (١٠٨) .

(٤٢) أنساب الأشراف (٣٢٣/١) وانظر تهذيب الأسماء واللغات (٢٠٢/١) . وطبقات ابن سعد (٤٥/٣) .

(٤٣) جوامع السيرة (١٤٧) .

وكان زيد البشير الذي أوفده النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الى المدينة بفتح بدر (٤٤)، فقد بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم زيد بن حارثة إلى أهل (السّافِلَة) من المدينة وبعث عبدالله بن رَوَاحة إلى أهل (العالية) بشيرين بنصر المسلمين على المشركين في بدر. قال أسامة بن زيد: «فأتانا الخبر حين سوّينا التراب (٤٥) على رُقَيّة ابنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم التي كانت عند عثمان بن عفّان رضي الله عنه، كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد خلّفني عليها مع عثمان – أنّ زيد بن حارثة قَدِمَ، فجئته وهو واقف بالمصلّى وقد غشيه الناس وهو يقول: قُتل عُتْبَة بن ربيعة، وشَيْبَة بن ربيعة، وأبو جَهْل بن هشام، وزَمْعَة بن الأسْوَد، وأبو البَخْتَرِيّ العاص ابن هشام، وأميّة بن خَلَف، ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجّاج! قلت: يا أبتِ! أحقٌّ هذا؟! قال: نعم والله يابُنَيّ!» (٤٦).

وكان رجل من المنافقين قد قال لأسامة بن زيد: «قُتل صاحبكم ومَنْ معه»، وقال آخر منهم لأبي لُبَابَة: «قد تفرّق أصحابكم تفرّقاً لايجتمعون بعده، وقُتل محمّد وهذه ناقته نعرفها، وهذا زيد لايدري مايقول من الرُّعب». قال أسامة بن زيد: «فأتيتُ أبي، فكذّب قول المنافقين» (٤٧).

وهكذا استطاع زيد أن يبدّد مخاوف أهل المدينة، ويكذّب إشاعات المنافقين المغرضة، ويعيد الهدوء والاطمئنان إلى المدينة، ويرفع معنويات المسلمين فيها إلى عنان السماء.

لقد كان دور زيد في غزوة بدر الحاسمة دوراً بارزاً حقاً.

---

(٤٤) المحبر (٢٨٧) وتهذيب الأسماء واللغات (٢٠٢/١) وأسد الغابة (٢٢٦/٢).

(٤٥) يريد: دفنوها وسووا التراب على قبرها.

(٤٦) سيرة ابن هشام (٢٨٤/٢-٢٨٥).

(٤٧) أنساب الأشراف (٢٩٤/١) وانظر المغازي (١١٤/١).

قائد سرية القَرَدَة (٤٨).

هي أوّل سريّة خرج فيها زيد أميراً ، وخرج لهلال جمادى الآخرة على رأس سبعة وعشرين شهراً (٤٩) من مُهاجَر رسول الله صلى الله عليه عليه وسلّم ، أي في السّنة الثالثة الهجريّة .

وكانت قريش قد حذرت طريق الشّام أن يسلكوها ، وخافوا من رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم وأصحابه ، وكانوا قوماً تجّاراً ، فقال صَفْوان بن أميّة : « إنّ محمّداً وأصحابه ، قد عوّروا علينا متجرنا ، فما ندري كيف نصنع بأصحابه ، لايبرحون السّاحل ، وأهل السّاحل قد وادعهم ودخل عامتّهم معه ، فما ندري أين نسلك ، وإن أقمنا نأكل رؤوس أموالنا ونحن في دارنا هذه ، مالنا بها نفَاق (٥٠) ، إنما نزلناها على التجارة : إلى الشام في الصّيف ، وفي الشتاء إلى أرض الحبشة » ، فقال له الأسود بن المطّلِب : « فنكِّب (٥١) عن السّاحل ، وخذ طريق العراق » .

ولم يكن صفوان عالماً بطريق العراق ، فاستأجر دليلاً يدعى : فُرات ابن حيّان العِجليّ الذي قال لصفوان : « أنا أسلك بك طريق العراق ، ليس يطؤها أحد من أصحاب محمّد ، إنما هي أرض نَجْدٍ وفيافٍ » ، فقال صفوان : « فهذه حاجتي ، أما الفيافي فنحن شاتون ، وحاجتنا إلى الماء اليوم قليل » .

وتجهز صفوان، وأرسل معه أبو زَمْعَة بثلاثمائة مثقال ذهب ونُقَر (٥٢)

---

(٤٨) القردة : من أرض نجد ، بين الربذة والغمرة ناحية ذات عرق ، انظر طبقات ابن سعد (٣/٣٦) ومعجم البلدان (٧/٥٠) .

(٤٩) مغازي الواقدي (١/١٩٧) ، أما في طبقات ابن سعد (٢/٣٦) ، فجاء : على رأس ثمانية وعشرين شهراً .

(٥٠) مغازي الواقدي (١/١٩٧) ، وفي بعض النسخ : « مالنا بها بقاء » والنفاق : جمع النفقة .

(٥١) نكب عنه : عدل وتنحى .

(٥٢) النقر : القطعة المذابة من الذهب والفضة .

فضة ، وبعث معه رجال من قريش ببضائع ، وخرج معه عبدالله بن أبي ربيعة وحُوَيْطِب بن عبدالعُزّى في رجال من قريش ، وخرج صفوان بمال كثير : نُقَر فضّة ، وآنية فضّة وزن ثلاثين ألف درهم ، وخرجوا على (ذات عِرْق) (٥٣) .

وقدم المدينة نُعَيْم بن مَسعود الأشْجَعِيّ ، وهو على دين قومه ، فنزل على كنانة بن أبي الحُقَيْق في بني النّضير من يهود ، فشرب معه ، وشرب معه سَليط بن النُّعمان بن أسلم – ولم تحرّم الخمر يومئذٍ – وهو يأتي بني النّضيْر ويصيب من شرابهم ، فذكر نُعَيْم خروج صَفوان في عِيره وما معهم من الأموال ، فخرج من ساعته إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فأخبره ، فارسل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم زيد بن حارثة في مائة راكب ، فاعترضوا عِيْر قريش وأصابوها، وأفلت أعيان قريش وأسروا رجلاً أو رجلين .

وقدم زيد بالعِيْر على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فخمّسها ، فكان الخمس يومئذٍ قيمة عشرين ألف درهم ، وقسم ما بقي على أهل السريّة .

وكان في الأسرى ، فُرات بن حيّان ، فأُتي به ، فأسلم (٥٤) .

وهكذا صعّد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بهذه الغزوة الحصار الاقتصادي على قريش ، فهدّد طريق تجارتهم إلى العراق أيضاً ، بعد أن هدّد طريق مكّة – الشام ، وطريق مكّة – الطائف في غزواته وسراياه السابقة .

---

(٥٣) ذات عرق : مهل أهل العراق ، وهو الحد بين نجد وتهامة .

(٥٤) مغازي الواقدي (١ / ١٩٧ – ١٩٨) وطبقات ابن سعد (٢ / ٣٦) سيرة ابن هشام (٢/٤٢٩–٤٣٠) .

سريَة زيد إلى سُلَيْم بالجَمُوم (٥٥) .

بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الى بني سُلَيْم بالجَمُوم في شهر ربيع الآخر من سنة ست الهجريّة زيداً ، فسار على رأس سريته التي لا نعرف تَعداد رجالها حتى ورد الجَمُوم ناحية (بطن نَخل) (٥٦) عن يسارها ، وبطن نَخل من المدينة على أربعة بُرُد ، فأصابوا عليه امرأة من مُزَيْنَة يقال لها حليمة ، فدلتهم على محاّة من محاّل بني سُليم ، فأصابوا في تلك المحلّة نَعَماً وشاءً وأسرى ، فكان فيهم زوج حليمة المُزَنِيّة . فلما قفل زيد بما أصاب ، وهَبَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للمُزَنِيّة نفسَها وزوجها ، فقال بلال بن الحارث في ذلك شعراً :

لعمرُكَ ! ما أخنى المَسُول ولا وَنَتْ

حليمةُ حتى راحَ رَكبُهُما معاً (٥٧)

وكان الهدف من هذه السريّة تأمين المدينة وهي القاعدة الأمنية للاسلام، وفرض سيطرة المسلمين على القبائل التي حولها ، وتشديد وطأة الحصار الاقتصادي على قريش وحلفائها .

قائد سريَة العِيص (٥٨)

بعث النبيّ صلى الله عليه وسلّم زيداً الى العِيْص ، وبينها وبين المدينة أربع ليالٍ ، وبينها وبين ذي المَرْوَة ليلة ، في جمادى الأولى سنة ست

(٥٥) الجموم : أرض لبني سليم ، أنظر معجم البلدان (٣/١٤٠) .

(٥٦) بطن نخل : جمع نخلة ، قرية قريبة من المدينة ، على طريق البصرة ، أنظر معجم البلدان (٢/٢٢١) .

(٥٧) طبقات ابن سعد (٢/٨٦) .

(٥٨) العيص : موضع في بلاد بني سليم ، به ماء يقال له : ذنبان العيص ، أنظر معجم البلدان (٦/٢٤٨) ، بينها وبين المدينة أربع ليال ، وبينها وبين ذي المروة ليلة ، أنظر طبقات ابن سعد (٢/٨٧) .

الهجريّة ، فقد بلغ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أنّ عيراً لقريش قد أقبلت من الشّام ، فبعث زيد بن حارثة في سبعين ومائة راكب يتعرّض لها ، فأخذوها وما فيها ، وأخذوا يومئذ فضّة كثيرة لصفوان بن أُميّة ، وأسروا ناساً ممن كان في العير ، منهم أبو العاص ابن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

وقدم زيد بهم المدينة ، فاستجار أبو العاص بزينب بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأجارته . ونادت زينب في الناس حين صلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الفجر . « إني قد أجرتُ أبا العاص ! » ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « وما علمتُ بشيءٍ من هذا ، وقد أجرنا مَنْ أَجَرْتِ » ، وردّ عليه ما أُخذ منه (٥٩) .

وهكذا شدّد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الخناق في حصاره الاقتصادي ، على قريش التي تعيش على التجارة وتموت بدونها :

قائد سريّة الطَّرف (٦٠)

بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم زيداً على سرية إلى الطّرف في جمادى الآخرة من سنة ست الهجريّة ، والطرف ماء قريب من المِراض دون النُّخَيل على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة طريق البَقَرة على المحجّة .

وخرج زيد إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً ، فأصاب نَعماً وشاءً ، وهربت الأعراب ، وصبّح زيد بالنّعم المدينة ، وهي عشرون بعيراً ، ولم يلق كيداً ، وغاب أربع ليالٍ ، وكان شعارهم : أمِتْ ...أَمِتْ....(٦١).

---

(٥٩) طبقات ابن سعد (٨٧/٢) وانظر مغازي الواقدي (٥٥٣/٢-٥٥٥) .

(٦٠) الطرف : ماء قريب من المرقى دون النخيل ، وهو على ست وثلاثين ميلا من المدينة باتجاه العراق ، انظر معجم البلدان (٤٣/٦) .

(٦١) طبقات ابن سعد (٨٧/٢) ومغازي الواقدي (٥٥٥/٢) .

وكان هدف هذه السريّة ، تأمين المدينة القاعدة الأمنية للاسلام ، وفرض سيطرة المسلمين على القبائل ، بالهجوم عليها ، لأنّ الهجوم أنجح وسائل الدفاع ، إذ أنّ الأعراب إذا لم يُهاجَموا من المسلمين ، هاجموا المسلمين ، كما هو دأبهم .

قائد سريّة حِسْمَى (٦٢)

بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم زيداً على سرية إلى حِسْمَى ، وهي وراء وادي القُرى ، في جمادى الآخرة من السنة السّادسة الهجريّة .

وسبب بعث هذه السريّة ، أنّ دِحْيَة بن خايفة الكلبي – وكان مسلماً أقبلَ من عند قيصر الرُّوم وقد أجاره وكساه ، فلقيه الهُنَيْد بن عارِض وابنه عارِض بن الهُنَيد في ناس من بني جُذَام بحِسْمَى ، فقطعوا عليه الطّريق ، ولم يتركوا عليه إلاّ سَمَل ثوب ، فسمع بذلك نفرٌ من بني الضُّبَيْب ، فنفروا إليهم ، واستنقذوا لدحية متاعه .

وقدم دِحية على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فأخبره بذلك ، فبعث زيد بن حارثة في خمسمائة رجل ، وردّ معه دِحية .

وكان زيد يسير اللّيل ويكمن النّهار ، ومعه دليل من بني عُذْرَة ، فأقبل بهم حتى هجم بهم مع الصُّبح على القوم ، فأغاروا عليهم وقتلوا فيهم فأوجعوا ، وقتلوا الهُنَيد وابنه ، وأغاروا على ماشيتهم ونَعمهم ونسائهم ، فأخذوا من النّعم ألف بعير ، ومن الشّاء خمسة آلاف شاة ، ومن السَّبي مائة من النساء والصبيان .

ورحل زيد بن رِفاعة الجُذامِيّ في نفرٍ من قومه إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فدفع إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، كتابه الذي

(٦٢) حسمى : أرض ببادية الشام ، بينها وبين وادي القرى ليلتان ، وبين وادي القرى والمدينة ست ليال ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٢٧٦) .

الذي كان كتب له ولقومه ليالِيَ قدم عليه فأسلم ، وقال : « يا رسول الله ! لا تُحَرِّمْ علينا حلالاً ولا تُحِلّ لنا حراما » ، فقال : « كيف أصنع بالقتلى ؟ » ، قال أبو يزيد بن عمرو : « اطلِقْ لنا يا رسول الله مَنْ كان حياً ، ومَنْ قُتِل فهو تحت قدمَيّ هاتين » ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « صدق أبو يزيد » .

وبعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، إلى زيد بن حارثة ، يأمره أن يخلّي بينهم وبين حُرمهم وأموالهم ، فتوجّه عليّ ، فلقي رافع بن مَكِيْث الجُهَنِي بشيرَ زيد بن حارثة على ناقة من من إبل القوم ، فردّها عليٌّ الى القوم ، ولقي زيداً بالفَحْلَتَيْن ، وهي بين المدينة وذي المَرْوَة ، فأبلغه أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فردّ إلى الناس كلّ ما كان أخذ لهم (٦٣) .

وكان الهدف من هذه السرية ، تأديب بني جُذام الذين اعتدوا على دِحية بن خليفة الكلبيّ ، وهم يعلمون أنّه أحد المسلمين ، وليس النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالذي يرضي باعتداء أحد على مسلم من المسلمين ، لأنّ الاعتداء عليه اعتداء على المسلمين كافة .

قائد سريّة وادي القُرى (٦٤)

بعث النبي صلّى الله عليه وسلّم زيد بن حارثة على رأس سرية إلى وادي القُرى في رجب من السنة السادسة الهجريّة (٦٥) ، لتأديب بني فَزارة ، فأصيبت هذه السريّة وتسلّل زيد من بين القتلى وعاد إلى المدينة ، فآلى على نفسه ألاّ يمسّ رأسه غسل جنابة حتى يغزو بني فَزارة (٦٦) .

---

(٦٣) طبقات ابن سعد (٢/٨٨) ومغازي الواقدي (٢/٥٥٥-٥٦٠) .
(٦٤) وادي القرى : واد بين المدينة والشام ، من أعمال المدينة ، كثير القرى ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣٧٥) .
(٦٥) طبقات ابن سعد (٢/٨٩) . (٦٦) عيون الأثر (٢/١٠٨) .

وفي رواية، أنّ زيداً خرج في تجارة إلى الشّام، ومعه بضائع لأصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، حتى إذا كان دون وادي القُرى ومعه ناس من أصحابه، لقيه ناس من بني فَزارة من بني بدر، فضربوه وضربوا أصحابه حتى ظلّوا أن قد قُتلوا، وأخذوا ما كان معه. ثم استبلّ (٦٧) زيد، فعاد إلى المدينة (٦٨)، وهذه الرواية أقرب إلى المنطق والعقل وسير الحوادث.

ويبدو أنّ المسلمين لم يكتفوا بقطع الطريق التجاريّة: مكة — الشّام على تجارة قريش، بل أرادوا استغلال هذه الطريق لتجارتهم بهدف تحسين أوضاعهم الاقتصاديّة، ولكنّهم أخفقوا في ذلك، إذ تبيّن لهم أنّ الوقت لا يزال مبكّراً لاستغلال هذه الطريق.

قائد سريّة أم قِرفة بوادي القُرى

بعث النبي صلّى الله عليه وسلّم زيداً على رأس سريّة إلى أُم قِرْفة بوادي القرى على سبع ليالٍ من المدينة، في شهر رمضان من السّنة السّادسة الهجريّة، وهي من فَزارة من بني بدر.

وخرج المسلمون من المدينة، يكمنون النهار ويسيرون اللّيل، وخرج بهم دليلٌ لهم. ونذرت بهم بنو بدر من فَزارة، فكانوا يجعلون ناطورا (٦٩) لهم حين يُصبحون، فينظر على جبل لهم مشرفٍ وجهَ الطريق الذي يرون أنّهم يأتون منه، فينظر قدر مسيرة يوم، فيقول: اسرحوا فلا بأس عليكم هذه ليلتكم!

فلما كان زيد وأصحابه على مسيرة ليلة، أخطأ بهم دليلهم الطريق، فأخذ

(٦٧) استبل: أي برأ.
(٦٨) مغازي الواقدي (٢/٥٦٤) وطبقات ابن سعد (٢/٩٠).
(٦٩) الناطور: حافظ الكرم، والمعنى هنا: الراصد.

بهم طريقاً أخرى حتى أمسوا وهم على خطأ . وعرفوا خطأهم ، ثم صمدوا (٧٠) لهم في الليل حتى صبّحوهم ، وكان زيد نهاهم عن المطاردة ، ثم أمرهم ألاّ يتفرّقوا ، وقال : « إذا كبّرتُ فكبّروا » ، ثم أحاطَ بفزارة في بيوتهم ، وكبّر و كبّروا ، فخرج مَسْلَمَة بن الأكْوَع . فطلب رجلاً منهم حتى قتله ، وأخذ جارية بنت مالك بن حُذَيفة بن بدر وجدها في بيت من بيوتهم ، وهي ابنة أمّ قِرْفة ، واسم ام قِرْفَة : فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، كما أخذوا أم قِرْفة فقتلها قيس بن المحسِّر ، وقتل النعمان وعبيدالله ابني مَسْعَدَة بن حَكَمَة بن مالك بن بدر (٧١) .

وكانت العرب تقول : « لو كنت أعزّ من أم قرفة » (٧٢) ، لأنها كانت يُعَلّق في بيتها خمسون سيفاً كلّهم لها ذو محرم (٧٣) .

وعاد زيد إلى المدينة ، فقرع باب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فخرج اليه مسرعاً واعتنقه وقبّله ، فأخبره زيد بانتصاره وغنائمه .

أما جارية ابنة أم قِرفة ، فقد وهبها مَسْلَمَة بن الأكْوَع لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فوهبها لحَزْن بن أبي وَهْب خال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فولدت له امرأةً ليس له منها ولد غيرها (٧٤) .

وهكذا أخذ زيد بثأر المسلمين الذين قتلتهم فَزارة ، وأعاد هيبة المسلمين إلى تلك المنطقة ، ولقّن فزارة درساً لاينسونه أبداً كما لقن غيرها من القبائل مثل هذا الدّرس .

---

(٧٠) صمدوا لهم : أي ثبتوا لهم وقصدوهم وانتظروا غفلتهم ، انظر النهاية (٢/٣٧٤) .

(٧١) طبقات ابن سعد (٢/٩٠-٩١) ، وفي مغازي الواقدي (٢/٥٦٥) : قتل عبدالله بن مسعدة ، وقتل قيس بن النعمان بن مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر.

(٧٢) عيون الأثر (٢/١٠٨) .

(٧٣) عيون الأثر (٢/١١٠) .

(٧٤) طبقات ابن سعد (٢ / ٩٠-٩١) ومغازي الواقدي (٢ / ٥٦٤-٥٦٥) وانظر عيون الأثر (٢/١٠٧-١٠٨) .

قائد سريّة مُؤْتَة (٧٥)

بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم زيداً على سرية إلى مُؤْتَة في جمادى الأولى سنة ثمان الهجرية ، وكان سبب بعث هذه السريّة ، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعث الحارث بن عُمَيْر الأَزْدِيّ أحد بني لِهْبٍ إلى ملك بُصْرَى (٧٦) بكتاب ، فلما نزل مُؤْتَة عرض له شُرَحْبِيل بن عمرو الغَسّاني فقتله ، ولم يُقْتَلْ لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، رسولٌ غيره، فاشتدّ ذلك عليه ، وندب الناسَ فأسرعوا وعسكروا بالجُرْف (٧٧) ، وهم ثلاثة آلاف ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « أمير النّاس زيد بن حارثة ، فان قُتِل فجعفر بن أبي طالب، فان قُتِل فعبد الله ابن رَوَاحة ، فان قُتِل فليرتَضِ المسلمون بينهم رجلاً فيجعلوه عليهم » .

وعقد لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، لواءً أبيض دفعه إلى زيد ، وأوصاهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أن يأتوا مقتل الحارث بن عُمَيْر وأن يَدْعُوا مَنْ هناك إلى الاسلام ، فان أجابوا وإلاّ استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم . وخرج مشيِّعاً لهم حتى بلغ (ثَنِيّة الوَدَاع)(٧٨) ، فوقف وودّعهم ، فلما ساروا من مُعَسكرهم نادى المسلمون : دفعَ الله عنكم وردّكم صالحين غانمين ! فقال عبد الله بن رَوَاحة :

---

(٧٥) مؤتة : قرية من قرى البلقاء في حدود الشام ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٩٠/٨) ، وهي بأدنى البلقاء دون دمشق ، انظرطبقات ابن سعد (١٢٨/٢). والبلقاء ، هي الأردن الحالية .

(٧٦) بصرى : مدينة من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٠٨/٢) .

(٧٧) الجرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨٦/٣) .

(٧٨) ثنية الوداع : ثنية مشرفة على المدينة ، سميت لتوديع المسافرين ، انظر معجم البلدان (٢٥/٣) .

لكنّني أسأل الرحمنَ مغفرةً
وضَرْبةً ذات فرع تقذف الزّبدا(٧٩)

ولما فصلوا من المدينة ، سمع العدو بمسيرهم ، فجمعوا لهم ، وقام فيهم شُرَحْبِيل بن عمرو ، فجمع أكثر من مائة ألف ، وقدّم الطلائع أمامه .

ونزل المسلمون (مُعَان) (٨٠) من أرض الشّام ، وبلغ الناسَ أنّ هِرَقْل قد نزل (مَآب) (٨١) من أرض البلقاء في مائة ألف من بَهْراء ووائل وبَكْر ولَخْم وجُذَام .

وأقام المسلمون ليلتين لينظروا في أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فنخبره الخبر . . . فشجّعهم عبد الله بن رَواحة على المُضِيّ ، فمضوا إلى مُؤْتَة .

ووافاهم المشركون ، فجاء ما لا قِبَل لأحدٍ به من العدد والسِّلاح والكُراع والديباج والحرير والذّهب ، فالتقى المسلمون والمشركون ، وقاتل الأمراء يومئذ على أرجلهم ، فأخذ اللِّواء زيد بن حارثة فقاتل ، وقاتل المسلمون معه على صفوفهم ، حتى قُتِل طعناً بالرِّماح رحمه الله . ثمّ أخذ اللواءَ جعفر بن أبي طالب ، فنزل عن فرس له شقراء ، فعرقبها (٨٢) ، فكانت أوّل فرس عُرْقِبت في الاسلام ، وقاتل حتى قُتل ، رضي الله عنه ، ضربه رجل من الروم فقطعه بنصفين ، فوُجد في أحد نصفيه بضعة وثلاثون جرحاً ، ووجد في بَدَن جعفر اثنتان وسبعون ضربةً بسيف وطعنةً برمح .ثم أخذ اللواء عبد الله بن رَواحة ، فقاتل حتى قُتل رضي الله عنه .

---

(٧٩) ذات فرع : أي ذات سعة .
(٨٠) معان : مدينة بطرف بادية الشام تلقاء الحجاز ، انظر معجم البلدان (٨/٩٣) .
(٨١) مآب : مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء ، انظر معجم البلدان (٧/٤٩) .
(٨٢) عرقبها : قطع عرقوبها ، وعرقوب الدابة في رجلها .

واصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فسحب قوّات المسلمين من ساحة المعركة ، وحمى بالسّاقة انسحابهم ، فكانت عملية الانسحاب التي طبقها خالد من العمليات الانسحابية الفذة في تاريخ الحروب .

ولما سمع أهل المدينة بجيش مُؤتَة قادمين ، تلقّوْهم بالجُرف ، فجعل الناس يُحثُون في وجوههم الترابَ ويقولون : يافُرّار ! أفررتم في سبيل الله ؟ فيقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ليسوا بفُرّار ، ولكنّهم كُرّار إن شاء الله (٨٣) .

وهكذا ضحّى زيد بروحه رخيصة في سبيل الله مُقبلاً غير مدبر ، رافعاً لواء الاسلام عالياً ، لم يعفّره بالتراب في حياته ، فلما استُشهدَ لم يُعفّر بالتراب المجبول بدم الشهيد ، بل رفعه فوراً القائد الجديد .

الإنسان

استُشهد زيد في مُؤْتة في جمادى الأولى سنة ثمان الهجريّة (٨٤) (٦٢٩ م) ، وكان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أكبر من زيد بعشر سنين (٨٥) ، أي أن زيداً ولد سنة (٥٨١ م) ، لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ولد عام الفيل وهو سنة (٥٧١ م) ، ومعنى ذلك أنّ زيداً عاش ثمانياً وأربعين سنة شمسيّة ونحو خمسين سنة قمرية (٨٦) .

وهناك نصوص على أنّه أستُشهد وله من العمر خمس وخمسون سنة (٨٧) ، والرواية الأولى أرجح ، لأنها المعتمدة عند أكثر المؤرخين المعتمدين .

(٨٣) طبقات ابن سعد (٢/١٢٨-١٣٠) وانظر مغازي الواقدي (٢/٧٥٥-٧٦٩)
(٨٤) تهذيب ابن عساكر (٥/٤٥٧) .
(٨٥) الاستيعاب (٢ / ٥٤٣) وتهذيب ابن عساكر (٥ / ٤٥٧) وأنساب الأشراف (١/٤٧٠) .
(٨٦) أنساب الأشراف (١/٤٧٣) .
(٨٧) الاصابة (٣/٢٦) وتهذيب ابن عساكر (٥/٤٦١) .

وكان زيد رجلاً قصيراً ، آدم شديد الأدمة ، في أنفه فطس (٨٨) ، وفي رواية أنّه كان أبيض أحمر (٨٩) ، والتناقض بين الروايتين واضح ، والرواية الأولى هي الصحيحة ، لاعتمادها من أكثر المؤرخين الثقات .

ولما أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خبر قتل جعفر وزيد بكى وقال : « أخواي ومؤنساي ومحدّثاي » ، وشهد له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالشهادة .

ولما أصيب زيد ، أتى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أهله ، فجهشت زينب بنت زيد في وجهه ، فبكى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى انتحب ، فقال له سعد بن عُبادة : « يارسول الله ! ماهذا ؟ » ، قال : « هذا شوق الحبيب إلى حبيبه » (٩٠) ، ولا عجب في ذلك ، فقد كان زيد حِبّ رسول الله ومولاه (٩١) .

وقد دعا النبيّ صلّى الله عليه وسلم لزيد وجعفر وابن رَواحة بعد استشهادهم ، فقال : « اللّهمّ اغفر لزيد ، اللّهمّ اغفر لزيد ، اللّهمّ اغفر لزيد ، اللّهمّ اغفر لجعفر وعبدالله بن رَواحة (٩٢) .

وقال حسّان بن ثابت يرثي زيداً :

عَيْنِ جودي بدمعكِ المَنْزُورِ
واذكُري في الرّخاءِ أهلَ القُبورِ (٩٣)

واذكري مُؤْتَةً وما كانَ فيها
يومَ راحُوا في وقْعَةِ التّغْوِير (٩٤)

---

(٨٨) أنساب الأشراف (١/٤٧٠) وتهذيب ابن عساكر (٥/٤٥٧) وطبقات ابن سعد (٣/٤٤) .

(٨٩) أسد الغابة (٢/٢٢٧) .

(٩٠) أنساب الأشراف (١/٤٥٣) .

(٩١) تهذيب ابن عساكر (٥/٤٥٤) .

(٩٢) طبقات ابن سعد (٣/٤٦) .

(٩٣) المنزور : القليل ، وذلك لأنه بكى حتى فرغ دمعه .

(٩٤) التغوير : الاسراع ، يريد الانهزام .

حينَ راحوا وغادروا ثَمَّ زَيْــداً
نِعْمَ مأوَى الضَّرِيكِ والمأسور(٩٥)
حِبَّ خير الأنام طرّاً جميعــاً
سيِّدِ الناسِ حبّه في الصــدور
ذاكمُ أحمــدُ الذي لا سِواهُ
ذاكَ حُزني له معــاً وسروري
إنّ زيداً قــد كان مِنّا بأمْرٍ
ليس أمْرَ المكَذَّبِ المغــرور
ثم جودي للخزرجيّ بــدمعٍ
سيِّداً كان ثَمَّ غيرَ نَــزُورِ (٩٦)
قد أتانا من قتلهم مــا كفانا
فَبِحُزْنٍ نَبِيْتُ غيرِ ســرور (٩٧)

وقد كان لزيد صلة مباشرة متينة بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقد آثره زيد على أهله ، كما ذكرنا في قصّة محاولة فدائه ، فتبنّاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . قال عبدالله بن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في زيد : « ما كنّا ندعوه إلاّ زيد بن محمّد، حتى نزلت : (ادْعُوْهُم لآبائِهم)(٩٨)، فدُعي : زيد بن حارثة (٩٩) » ودُعي الأدعياء إلى آبائهم ، فدعى المِقــداد ابن عمرو ، وكان يقال له قبل ذلك المِقداد بن الأسود ، لأنّ الأسود بن عبد يَغوث كان قد تبنّاه (١٠٠) .

---

(٩٥) الضريك : الفقير .
(٩٦) أراد بالخزرجي : عبدالله بن رواحة والنزور : القليل العطاء .
(٩٧) سيرة ابن هشام (٣/٤٤٦) وتهذيب ابن عساكر (٥/٤٦٢) .
(٩٨) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣ : ٥) .
(٩٩) طبقات ابن سعد (٣/٤٣) وأسد الغابة (٢/٢٢٦) والاصابة (٣/٢٥) .
(١٠٠) الاستيعاب (٢/٥٤٥) .

وكان زيد يسمى : زيد الحِبّ ، لأنّه حبّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (١٠١) وأبو حِبّه (١٠٢) « أسامة بن زيد الذي فرض له عمر في العطاء أكثر مما فرض لابنه عبد الله بن عمر ، وعلّل ذلك عمر لابنه : « إنّه كان أحبّ إلى رسول الله منك ، وإنّ أباه كان أحبّ إلى رسول الله من أبيك » (١٠٣) .

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « يا زيد ! انت مولايَ ومني وإليّ وأحبّ القوم إليّ » (١٠٤) ، وقال لزيد : « أنت أخونا ومولانا » ، وقال : « أنت مولائي ، ومني ، وأحبّ القوم إليّ » (١٠٥) .

وكانت عائشة أم المؤمنين تقول : « ما بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم زيد بن حارثة في جيش قط إلاّ آثره عليهم ، ولو بقي بعده استخلفه » (١٠٦) .

وكان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إذا لم يَغْزُ لم يعطِ سلاحه إلاّ لعليّ أو لزيد (١٠٧) .

ذلك مبلغ حبّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لزيد وتقديره له ، ولن يكون هذا الحبّ وهذا التقدير إلاّ لشخصيّة لها سجاياها المتميّزة وإخلاصها النّادر وإيمانها العميق .

وزوّج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ابنة عمّته زينب بنت جَحْش زيداً وهي التي تزوّجها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد زيد (١٠٨) ، فتكلّم المنافقون والمشركون وقالوا : « محمّد يحرّم نساء الولد ، وقد تزوّج امرأة

(١٠١) أنساب الأشراف (٤٦٩/١).
(١٠٢) تهذيب الأسماء واللغات (٢٠٢/١).
(١٠٣) تهذيب ابن عساكر (٤٦١/٥) .
(١٠٤) طبقات ابن سعد (٤٤/٣) .
(١٠٥) أنساب الأشراف (٤٧٠/١) .
(١٠٦) طبقات ابن سعد (٤٦/٣) .
(١٠٧) تهذيب ابن عساكر (٤٥٩/٥) .
(١٠٨) أسد الغابة (٢٢٦/٢) .

ابنه » ، فأنزل الله عزّ وجلّ : (ما كانَ محمّدٌ أبا أحَدٍ من رِجَالِكُمْ ولكِنْ رسولَ اللهِ وخاتَمَ النّبيّيْنَ ، وكانَ اللهُ بكلّ شَيءٍ عَلِيْما)(١٠٩) ، ونزلت : (ادْعُوْهُمْ لآبائِهِمْ هُوَ أقْسَطُ عند اللهِ ، فإنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فاخْوانُكُمْ في الدّيْنِ وَمَواليْكم)(١١٠) ، فدعي يومئذٍ زيد بن حارثة ، ونُسب كلّ مَنْ تَبنّاه رجل من قريش إلى أبيه (١١١) .

وكانت عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها تقول : « لو كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية : (وإذْ تَقُوْلُ للّذي أنْعَمَ اللهُ عليهِ وأنْعَمْتَ عَلَيْه : أَمْسِكْ عليكَ زَوْجَكَ واتّقِ اللهَ ، وتُخْفي في نَفْسِكَ مااللهُ مُبْدِيه ، وتَخْشَى النّاسَ واللهُ أَحَقُ أَنْ تَخْشَاهُ ، فلمّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرا زَوّجْناكَهَا لِكَيْ لا يَكُونُ على المؤْمِنِيْنَ حَرَجٌ في أَزْوَاجِ أَدْعِيائِهِم إذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً ، وكانَ أمرُ اللهِ مَفْعُوْلا) (١١٢) ، فانّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لما تزوّجها – يعني زينب بنت جحش – قالوا : « إنّه تزوج حليلة ابنه » (١١٣) ، فانّ العرب إذا تبنّت غلاماً أنزلته منزلة الولد حتى في الارث وتحريم نكاح زوجته ، وكان من سُنّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وطريقته ، إذا نسخ الله شيئاً من أمرِ الجاهليّة أن يُسرع صلّى الله عليه وسلّم إلى الفعل ، ليقتدى به ، فلما زوّج زينب بنت جحش من زيد وأذن الله بنسخ عادة الجاهليّة ، أمر الله أن يطلّقها زيد ويتزوّجها رسول الله صلّى الله عليه

(١٠٩) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣ : ٤٠) .
(١١٠) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣ : ٥) .
(١١١) أنساب الأشراف (١/٤٦٩) .
(١١٢) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣ : ٣٧) .
(١١٣) أسد الغابة (٢/٢٢٦) .

وسلّم ليبطل عادة الجاهلية بالفعل ، للعلّة التي ذكرها الله في كتابه العزيز ؛ : (لِكَيْ لايَكُونَ على المؤمنينَ حَرَجٌ في أزواجِ أدعيائهم) (١١٤) .

وروي عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال : « أحبُّ النّاس إليَّ مَنْ أنعَمَ الله عليه وأنعَمتُ عليه » — يعني زيد بن حارثة — أنعم الله عليه بالاسلام ، وأنعم عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالعِتق (١١٥) .

ومن الواضح ، أنّ النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم زوّج زيداً زينب بنت جحش ، وهي ابنة عمّته ، ليبطل عادة جاهليّة في الترفّع على الموالي وعدم تزويجهم الحرائر وبنات الأشراف ، وكان زواجها بزيد شديداً على نفسها ، قالت زينب رضي الله عنها : « خطبني عدّة من قريش ، فأرسلت أختي حَمْنَة إلى رســول الله صلىّ الله عليه وسلّم استشيره ، فقال : أين هي ممن يعلّمها كتاب الله وسنّة نبيّها ؟ قالت : ومَنْ هو يارسول الله ؟ قال : زيد ! فغضبت حمنة غضباً شديداً وقالت : يارسول الله ! أتزوّج ابنة عمّتك مولاك ! ! فجاءت فأخبرت زينب ، فغضبت أشدّ من غضب أختها وقالت أشدّ من قولها ، فأنزل الله تعالى : (ماكانَ لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسوله أمراً أَنْ تكونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ من أمرِهم) (١١٦) ، فأرسلت زينب إلى رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم تقول : زوّجني مَنْ شئت ، فزوّجني من زيد) (١١٧) .

لقد أبطل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم تقاليد الترفّع عن تزويج الموالي بالحرائر من بنات الأشراف وتقاليد تحريم الزواج بامرأة الابن بالتبني ، وأعتقد أنّه

(١١٤) تهذيب ابن عساكر (٥/٤٥٨-٤٥٩) .
(١١٥) الاستيعاب (٢/٥٤٦) .
(١١٦) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣ : ٣٦) .
(١١٧) تهذيب ابن عساكر (٥/ ٤٥٨) .

لو لم يطبّق إبطال تلك التقاليد عملياً بنفسه وعلى نفسه لصعب على غيره، وهي تقاليد جاهليّة بالية أبطلها الاسلام ، فجعل التفاضل بالتقوى لا بالأحساب وبالتمسّك بالدين لا بالتمسّك بالأنساب .

ولست أنسى حديثاً سمعته في المدينة المنورة من شيخ معروف من الشيوخ المسامين ، يستنكر فيه إقدام شخصيات من عوائل عريقة في المدينة على تزويج قسم من بناتهم الشريفات برجالٍ قدّمهم علمهم ومناصبهم الحكومية وأخرهم نسبهم وحسبهم ، وقد مضى على الأسلام خمسة عشر قرناً ، وذهبت تقاليد الجاهلية إلى غير رجعةٍ ، وهذا يدل على مبلغ التضحية التي أقدم عليها النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعظم الشجاعة التي حقّقها باقدامه على زواج زينب من مولاه ، وزواجها بعد أن طلّقها مولاه .

إنّ التضحية والشجاعة المعنويتين اللتين تحمّلهما الرسول الأعظم عليه عليه أفضل الصّلاة والسّلام في قصّة زينب بنت جحش رضي الله عنها لا تقلاّن عن أي تضحية وشجاعة ماديتين إن لم تكونا أعظم أثراً وأبلغ تأثيراً ، فكان القدوة الحسنة والمثال الشخصي في تطبيق أصعب تشريعات الاسلام على نفسه قبل غيره ، فاجتث بذلك تقاليد جاهلية بالية ، ولكن لاتزال آثارها باقية بين العرب المسلمين حتى اليوم ولا يطبق تطبيق اجتثاثها على نفسه من العرب المسلمين غير المؤمنين حقّاً من الطيبين الأخيار .

وما دمنا قد تطرّقنا إلى زواج زيد بالسيدة زينب ، فلا بد من إكمال الحديث عن زواجه بنسائه الأخريات .

فقد زوّجه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مولاته أم أيْمَن ، فولدت له أسامة بن زيد (١١٨) حِبّ رسول الله وابن حِبّه وهي حاضنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومولاته ، وكان اسم أم أيمن : بَرَكة ، كانت قد

(١١٨) أسد الغابة (٢٢٦/٢) والاستيعاب (٥٤٦/٢) والاصابة (٢٥/٣) .

تزوجت بمكة في الجاهلية عُبَيْد بن عمرو بن بلال بن أبي الحرباء بن قيس ابن مالك بن ثعلبة بن جَشَم بن مالك بن سالم بن غَنْم بن عوف بن الخزرج، فولدت له : أيمن بن عُبَيْد ، فكنيت به . واستُشهد أيمن يوم حُنَيْن ، ومات عُبَيْد عن أم أيمن ، فكانت فارغةً لازوج لها ، فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم زيداً (١١٩) .

وتزوج زيد أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيْط (١٢٠) ، فقد أقبلت أمّ كلثوم بنت عُقْبَة بن أبي مُعَيْط ، وأمّها أَرْوَى بنت كُرَيْز بن ربيعة ، وأمّ أروى هي أم حكيم البيضاء ، بنت عبدالمطّلب – مهاجرة إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فخطبها الزّبير بن العوّام ، وزيد بن حارثة ، وعبدالرحمن بن عَوْف ، وعمرو بن العاص ، فاستشارت أخاها لأمّها عثمان ابن عفان ، فأشار أن تأتيَ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأتته ، فأشار عليها بزيد بن حارثة ، فتزوجته ، فولدت له زيداً ورُقَيّة ، فهلك زيد وهو صغير ، وماتت رُقَيّة في حجر عثمان . وطلّق زيد أمّ كلثوم ، فخلف عليها عبدالرحمن بن عوف ، ثمّ الزّبير ، ثمّ عمرو بن العاص (١٢١) . وتزوج هند بنت العوّام أخت الزّبير (١٢٢) ، وكان قد تزوج قبلها دُرَّة بنت أبي لَهَب ثم طلّقها (١٢٣) .

وتسلسل زوجات زيد بحسب الأقدميّة في زواجه بهن : أم أيمن مولاة النبيّ صلى الله عليه وسلم وحاضنته ، ثم زينب بنت جحش ، ولما طلّق زينب زوّجه أمّ كلثوم بنت عُقْبَة ، ثم طلّق أمّ كلثوم وتزوّج دُرَّة بنت

---

(١١٩) أنساب الأشراف (٤٧١/١) .
(١٢٠) المحبر (٤٤٦) وجمهرة أنساب العرب (١١١) .
(١٢١) أنساب الأشراف (٤٧١/١) وانظر المحبر (٤٤٦) .
(١٢٢) الاصابة (٢٥/٣) .
(١٢٣) أنساب الأشراف (٤٧١/١) .

أبي لَـهَب بن عبدالمطّلب، ثم طلّقها وتزوّج هند بنت العوّام أخت الزُّبير (١٢٤) وهكــذا سعى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّ يزوّج زيداً كرائم النساء وأقربهن نسباً به، لأنّه حِبّه ومؤتمنه وموضع ثقته، ولكي يجتث تقاليد جاهلية بالية في الزواج، ولكنّ بعض المسامين عادوا إلى تلك التقاليد الجاهلية البالية، فعادت إلى الحياة من جديد.

وقد استخاف النبيّ صلّى الله عليه وسلّم زيداً على المدينة المنوّرة مرتين: المرة الأولى في خروجه إلى غزوة (بُواط) (١٢٥) في شهر ربيع الأول سنة اثنتين الهجريّة (١٢٦). والمرّة الثانية في غزوة بني المُصْطَلِق من خُزاعة في (المُرَيْسِيْع) (١٢٨) قرب مكة (١٢٨) التي كانت في شهر شعبان سنة خمس الهجريّة (١٢٩)، وهذا دليل على اعتماد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على كفاية زيد الاداريّة.

وأوفده النبيّ صلّى الله عايه وسلّم من المدينة إلى مكّة مع أبي رافع مولاه، فحملا سَوْدة بنت زَمْعَة، وفاطمة بنت النبيّ صلّى الله عليه وســلّم، وأمّ كلثوم ابنة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فقدم زيد وأبو رافع بزوج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وابنتيه المدينة والمسجد يُبْنى (١٣٠). وأوفده مع رجل من الأنصار إلى مكّة لحمل زينب ابنة النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم الى المدينة، وقال لهما: «كونا ببطن (يَأجِج) (١٣١) حتى تمرّ بكما زينب، فتصحباها

(١٢٤) الأصابة (٣/٢٦).

(١٢٥) بواط: جبل من جبال جهينة بناحية رضوى، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٩٧).

(١٢٦) أنساب الأشراف (١/٢٨٧).

(١٢٧) المريسيع: اسم ماء من ناحية قديد، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٤١).

(١٢٨) أنساب الأشراف (١/٣٤٢) وتهذيب ابن عساكر (٥/٤٥٩).

(١٢٩) أنساب الأشراف (١/٣٤١).

(١٣٠) أنساب الأشراف (١/٤١٤).

(١٣١) يأجج: اسم مكان على ثمانية أميال من مكة.

حتى تأتياني بها » ، فخرجا إلى مكّة بعد غزوة بدر الكبرى بشهر أو قريب منه، فاستلمها زيد وصاحبه ، وقدما بها على رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم(١٣٢) وهذا دليل على ثقته العالية بأمانة زيد وحسن تصرّفه ورجاحة عقله وشجاعته النادرة .

ولم يُسَمِّ الله سبحانه وتعالى أحداً من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأصحاب غيره من الأنبياء إلاّ زيد بن حارثة ، قال تعالى : « فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا » (١٣٣) .

روى أربعة أحاديث عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم (١٣٤) ، وفي رواية أخرى أنه روى حديثين (١٣٥) فقط .

ومضى أبو أُسامة حِبّ رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم وأبو حِبّه إلى جوار ربه بعد أن عاش خمسين سنة قمرية ، كان فيها منذ عقل إلى جوار رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم المولى والأخ والحبيب ، فأدىّ ما عليه من واجبات جسام كأحسن مايكون الأداء ، فاستحق تقدير النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وحبه ورضاه ، وتقدير المسلمين وحبّهم ورضاهم في الماضي والحاضر والمستقبل، وكان ولايزال وسيبقى أسوة حسنة للمؤمنين المخلصين الصادقين(١٣٦)

وقد ترك زيد آثاره الباقية في حياة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأهل بيته ، كما ترك آثاره الباقية في خدمة الدين الحنيف داعياً ومجاهداً ، وكان مع

(١٣٢) أنظر التفاصيل في سيرة ابن هشام (٢/٢٩٧-٢٩٩) وأنساب الأشراف ١/٣٩٧-٣٩٨ وابن الأثير (٢/١٣٤) .
(١٣٣) أسد الغابة (٢/٢٢٧) وتهذيب الاسماء واللغات (١/٢٠٢) .
(١٣٤) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣ : ٣٧) .
(١٣٥) أسماء الصحابة الرواة (٢٩١) .
(١٣٦) تهذيب الأسماء واللغات .

النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في السرّاء والضرّاء وفي السّلام والحرب ، رضي الله عنه وأرضاه .

القائد

بعد عودة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من حَجّة الوَداع ، أقام بالمدينة بقيّة ذي الحجّة والمحرّم وصفر من السنةِ الحادية عشرة الهجريّة (٦٣٢ م) ، فأمر بتجهيز جيش كبير فيه أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وسعد بن أبي وقّاص وأبو عُبَيْدَة بن الجَرّاح رضي الله عنهم ، وجعل هذا الجيش بامرة أسامة بن زيد ، فتجهّز الناس ، وأوعب (١٣٧) مع أسامة المهاجرون الأولون (١٣٨) ، وأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أسامة أن يوطىء الخيل تخوم البَلْقَاء والدّاروم (١٣٩) من أرض فلسطين .

وتأخّر تجهيز هذا الجيش لمرض النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم قال ، : « أيها الناس ! انفذوا بعث أسامة ، فلعمري لئن قلتم في إمارته ، لقد قلتم في إمارة أبيه من قبله ، وإنه لخليق للامارة ، وإنْ كان أبوه لخليقاً لها » (١٤٠) ، وفي رواية الامام البخاري ، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : « بعث بعثاً وأمّرَ عليهم أسامة بن زيد ، فطعن بعض النّاس في إمارته ، فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم « أن تَطْعَنُوا في إمارته ، فقد كنتم تَطْعَنون في إمارة أبيه من قبلُ . وأَيْمُ اللهِ ، إنْ كان لخليقاً للامارة ، وإن كان لمن أحبّ الناس إليّ ، وإنّ هذا

(١٣٧) أوعبوا معه : أي خرجوا جميعهم للغزو .
(١٣٨) سيرة ابن هشام (٣١٩/٤) وطبقات ابن سعد (١٩٠/٢) .
(١٣٩) الداروم : قلعة بعد مدينة غزة للقاصد الى مصر ، الواقف فيها يرى البحر ، إلا أن بينها وبين البحر مقدار فرسخ ، انظر معجم البلدان (١٣/٤) .
(١٤٠) طبقات ابن سعد (٦٨/٤) . (١٤١) فتح الباري بشرح البخاري (٦٩/٧) ، وانظر الاصابة (٢٦/٣) وتهذيب ابن عساكر (٤٦٠/٥) .

لمن أحبّ النّاس إليّ بعده » (١٤١) ، وهذا تقويم لكفاية زيد القيادية وكفاية ابنه أسامة القيادية أيضاً ، يفوق كلّ تقويم ، لأنّه تقويم النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم الذي لايعادله ولا يقاربه أيّ تقويم آخر .

وقد كانت عائشة أمّ المؤمنين أقرب المقرّبين للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأعرفهم به تقول : « مابعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم زيد بن حارثة في جيش قطّ إلاّ أمّره عليهم » (١٤٢) ، وتقول : « مابعث رسول اللهصلّى الله عليه وسلّم زيدَ بن حارثة في جيش قطّ إلاّ أمّره عليهم ، ولو بقي بعده لاستخلفه » (١٤٣) .

ذلك هو مبلغ تقدير النبيّ صلّى اللهعليه وسلّم لكفاية زيد القياديّة وثقته الكاملة به واعتماده المطلق عليه ، وهو تقدير عظيم وثقة بالغة واعتماد هائل ، استحقّه زيد بمزاياه القياديّة أولاً وقبل كل شيء فما كان النبيّ صلّى اللهعليه وسلّم يولي ثقته الكاملة إلاّ لمن يستحقها بجدارة ، وكان يبني الانسان المسلم بالعقيدة الرّاسخة ، والأسوة الحسنة التي يضربها للمسلمين كافة بشخصه الكريم ، وبتولية الرجل المناسب للعمل المناسب ليقود الأمة أفضل رجالها عقيدة واقتداراً بالنسبة للواجبات والمسؤوليات التي يتقلّدونها .

فما الذي يستطيع القادة أن يتعلموه من سجايا زيد القياديّة ؟

كان من الرماة المعدودين المذكورين (١٤٤) من بين أصحاب النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم ، أي أنّه كان هدّافاً من الهدّافين كما نطلق على أمثاله في المصطلحات العسكريّة الحديثة ، وقد استغلّ هذه المزية في غزوة بدر

(١٤٢) رواه النسائي ، أنظر فتح الباري بشرح البخاري (٦٩/٧) .
(١٤٣) طبقات ابن سعد (٤٦/٣) وتهذيب ابن عساكر (٤٦١/٥) .
(١٤٤) تهذيب الأسماء واللغات (٢٠٢/١) وتهذيب ابن عساكر (٤٥٩/٥) وطبقات ابن سعد (٤٥/٣) .

الكبرى ، فقتل أحد أبرز سادات قريش ممن ذكرهم المؤرخون ، وقتل غيره ممن أغفل التاريخ ذكرهم . كما استغلّ هذه المزيّة في الغزوات التي شهدها مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهي غـزوة بدر والخندق والحُدَيْبيَة وخَيْبَر (١٤٥) وغيرها ، كما استغلها في السّرايا التي قادها بأمر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وهي تسع سرايا (١٤٦) ورد ذكرها في هذا البحث .

وكان من الفرسان الماهرين ، تدرّب على الفروسيّة كأيّ عربيّ آخر في محيطه ، فبرع بها وأتقنها إتقاناً متميّزاً .

ومن دراسة السرايا التي قادها زيد ، تظهر لنا بوضوح أنّها (غارات) لها تأثير معنوي على الأعداء بالدرجة الأولى ، وكان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يتوخّى من تلك السرايا إثبات قوّة المسلمين عمليّاً ، حتى يحول دون مهاجمة المسلمين من أولئك الأعداء ، وكان بهذه السّرايا ليطبّق الفكرة السوقيّة المعروفة : « الهجوم أنجع وسائل الدّفاع » (١٤٧) .

لقد كان واجب زيد في سراياه ، هو خوض معركة معنويات بالدّرجة الأولى ، تعتمد على المباغتة والاندفاع والحرب الخاطفة ، ومثل هذا الواجب بحاجة إلى قائد يتميّز بالشّجاعة الخارقة التي تضمن الاقدام والاندفاع ، ويتميّز بالعقيدة الرّاسخة التي تستهين بالاخطار . ويتميّز بالعقليّة الرّاجحة التي تتبصّر بالعواقب ، ويتميّز بعد كلّ ذلك بالفتوّة التي تتحمّل المشاق ولا تبالي بالأهوال .

وقد لمسنا شجاعة زيد في الغزوات التي شهدها مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وفي سراياه التي قادها ، ولمسنا شجاعته في الواجبات الأخرى التي

(١٤٥) تهذيب ابن عساكر (٥/٤٥٩) . (١٤٦) طبقات ابن سعد (٣/٤٥) وتهذيب ابن عساكر (٥/٤٥٩) .
(١٤٧) انظر الكتب العسكرية الرسمية حول القضايا السوقية والتعبوية .

ألقاها في عاتقه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في استصحاب بناته وزوجته في الهجرة ، في وسط يعجّ بالأعداء والحاقدين والموتورين من المشركين .

وقد نشأ زيد في بيت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فآمن به أوّل مَنْ آمن أو مع أوّل من آمن ، وأصبح مستعداً للتضحية بكل شيءٍ في سبيل عقيدته التي آمن بها .

أما عقليته الرّاجحة ، فقد ظهرت بوادرها منذ نعومة أظفاره ، وما تفضيله النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم على أبيه وإخوته وعمّه وآل بيته ، إلاّ نموذجاً من نماذج عقليته الرّاجحة الحصينة وطالما استشاره النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم في معضلات الحرب والسّلام .

أما شبابه وفتوته ، فيكفي أن نذكر أنّه مات في الخمسين من عمره ، وهو في أوج قوّته وعطائه .

وما أشبه سماته القياديّة تلك ، بسمات قيادة ابنه أسامة بن زيد (١٤٨) ، حِبّ رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم وابن حِبّه .

لقد قضى الاسلام – مع ما قضى عليه من تقاليد الجاهليّة ، على الأنفة من تأمير مَنْ لم تُقدِّمه السِنّ ، والاستمساك بعُرى التّفاضل بالانساب والاحساب والعشائر والقبائل . . . . إنّ التفاضل في الاسلام يخضع للتقوى وصالح الأعمال بالاضافة إلى الكفايات المناسبة للعمل المناسب .

وقد رفعت مزايا زيد القياديّة وإيمانه الرّاسخ العميق إلى الامارة .

لقد كان لزيد قابلية فذّة لاعطاء قرار سريع صحيح في الوقت والمكان المناسبين ، وكانت كلّ سراياه بحاجة ماسة إلى إصــدار قررات سريعة وصحيحة ، وحين وجد العدو في سريّة مُؤْتَة قد حشد له مالا قِبَل للمسلمين

(١٤٨) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح الشام ومصر (٣٣-٥١) .

به ، عزم أن يتريث في قبول المعركة غير المتكافئة ويستشير النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم في الموقف الجديد ، ولكنّ المتحمّسين من المجاهدين الذين خرجوا للجهاد طلباً للشهادة وعلى رأسهم عبدالله بن رَواحة ، أرادوا لقاء العدو مهما تكن نتائج هذا اللقاء ، فانصاع زيد لنداء العاطفـــة ، ويبدو أنّ الأحداث تطوّرت بسرعة عظيمة فاضطرّت المسلمين إلى قبول المعركة، ثم كانت سرية مُؤْتة إخفاقاً تعبوياً ولكنّها كانت نصراً سَوْقياً ، جعلت الرّوم جيران المسلمين في الشمال، يلمسون عملياً بأن العرب بالاسلام اصبحوا خلقاً جديداً ، فأصبحت حربهم ليست حرباً عابرة ، بل حرب لها مابعدها كأية حرب نظاميّة تتميّز بارادة القتال وبالنظام والتنظيم والاستمراريّة .

وكان زيد ذا إرادة قوّية ثابتة ، استطاع أن يتغلّب بها بسهولة ويسرٍ على كثير من المصاعب والعقبات في سراياه ، التي كان أكثرها يتسم بالمغامرة والمشاق ، فنجح بفضل إرادته على ماصادفه من معضلات ومشاق .

وكان من أولئك القادة الذين يتحملون المسؤولية ويتقبلونها قبولاً حسناً ، ولا يتملّصون منها بالقائها على عواتق الآخرين .

وكان ذا نفسيّة ثابتة لا تتبدل: لا يطربها النصر فيؤدي بها إلى مزالق الشّطط ، ولا يقلقها الاندحار فيحملها الى مهاوي الانهيار ، والشّطط والانهيار تلحق الكوارث بالقائد ورجاله .

ومادام المرء لايعمل لنفسه ، بل يعمل للمصلحة العامة ، وتكون نيته خالصة لوجه الله ، فأنّ نفسيته تكون ثابتة لاتتغيّر .

وكان عارفاً بنفسيات رجاله وقابلياتهم ، لأنّه نشأ بينهم وعمل معهم ، وعايشهم طويلا في حالتي الحرب والسّلام ، إلى جانب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه المقرّبين وآل بيته الطّاهرين ، فكان يكلف كلّ فرد منهم بما يناسب نفسيّته وقابليّته .

وكان يثق برجاله ثقة مطلقة ، ويثق به رجاله ثقة مطلقة ، والثقة هي الأساس القوي للتعاون بين القائد وجنوده ولا تعاون بدون ثقة متبادلة .

وكان يحب رجاله حبّ الأخ لأخيه ، ويحبّه رجاله حبّاً لامزيد عليه ، والحبّ المتبادل هو العامل الحيوي لارساء أسس التعاون الوثيق الذي يقود إلى النصر .

وكان يتمتّع بشخصيّة قوّية نافذة ، جعلت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يوليه السرايا التي فيها أمثال أبي بكر الصدّيق وعمر بن الخطّاب وسعد بن أبي وقّاص وأبي عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنهم ، ويوليه إمرة المدينة المنوّرة في بعض غزواته ، مما يدّل على شخصيته القويّة النّافذة .

وكانت له قابلية بدنيّة فائقة ، ساعدته على قطع المسافات الشاسعة بسرعة ، وتحمل اعباء السفّر والقتال ، دون كلل ولا ملل ولا تعب ولا إنهاك .

وكان له ماضٍ ناصعٌ مجيد في خدمة الاسلام والمسلمين ، وخدمة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم .

وكان يساوي بينه وبين رجاله ، لايستأثر دونهم بالخير ، ويترك لهم المتاعب ، بل يؤثرهم بالأمن والدّعة والاطمئنان ، ويستأثر دونهم بالأخطار والمصاعب والمشاق .

وكان يستشير أصحابه ، وبخاصة ذوي الرأي منهم ، ويأخذ بآرائهم ويضعها في حيِّز التطبيق العملي .

واستناداً إلى مبادىء الحرب ، فقد كان زيد يختار مقصده ويديمه ، ويفكر في أقوم وسيلة للوصول إليه ، ثم يقرِّر الخطّة المناسبة للحصول عليه .

وكانت سرايا زيد كلّها تعرضيّة ، تشيع فيها روح المباغتة ، وكانت جميع سراياه عدا سريّة مُؤْتَة مباغتة كاملة لأعداء المسلمين ، لذلك استطاع الانتصار عليهم بالرغم من قلّة قوّاته بالنسبة إلى كثرة قوّاتهم ، وبالرغم من

وجودهم في بلادهم بينما كانت خطوط مواصلات زيد بعيدة عن المدينة قاعدة عمليات المسلمين الرئيسة .

كما أنّ زيداً كان يحشد قوّاته قبل الاقدام على خوض المعركة ، وكان يديم معنويات لكل القوات ، ويمكن اعتبار سراياه في هدفها الرئيسي سرايا معنويات بالدرجة الأولى كما ذكرنا من قبل .

وكان يطبّق مبدأ الأمن، فلم يستطع العدو مباغتة سرايا زيد في أيّة معركة خاضها ، وحتى سرية مُؤْتَة لم يُبَاغَت بتفوّق القوات المعادية على قوّات المسلمين عَدَداً وعُدَداً ، ولكنّه اختار لنفسه الشّهادة ، فكان له ما أراد .

وكانت سرايا زيد تتحلّى بالطّاعة المطلقة ، وهي مانسميه اليوم : الضبط المتين ، كما امتازت سراياه بالشّجاعة والاقدام والجلد والصبر والمصابرة وتحمّل المشاق ، وهي الصّفات المعنوية الباقية على الزمان لكل جيش متماسك في كل زمان ومكان .

وكان زيد يتحلّى بنفس مزايا جيشه المعنويّة ، وكان مثالاً شخصياً رائعاً لسراياه في كلّ تلك المزايا والصفات .

لقد كان زيد قائداً متميّزاً حقّاً .

زيد في التاريخ

يذكر التاريخ لزيد ، أنّه أصابه سِباء في الجاهليّة ، فطوّحت به الأقدار بعيداً عن أهله ليصبح في كنف النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم قبل مبعثه .

وأنّ أباه وعمّه وإخوته أردوا فداءه ، فاختار النبيّ صلّى الله عليهوسلّم على أبيه وعمّه وإخوته ، فارتبط مصيره بالاسلام والمسلمين .

وأنّه كان أوّل مَنْ أسلم ، أو من أوّل مَنْ أسلم ، فكان أوّل مَن أسلم من الموالي بدون خلاف .

وأنّه رافق النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الى مدينة الطّائف لدعوة بني ثقيف إلى الاسلام ، فشهد أقسى ما لاقاه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من ثقيف في رحلته الصّعبة الشاقة .

وأنّه هاجر إلى المدينة المنوّرة ، وحمل معه بعضاً من بنات النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وزوجاته .

وأنّه شهد بدراً وأُحُداً والخندق وغيرها من غزوات النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وأبلى فيها أعظم البلاء .

وأنّه تولى قيادة تسع سرايا من سرايا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فكان أكثر قادة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في قيادة سراياه .

وأنّه الوحيد الذي ذكر بالاسم من بين صحابة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأصحاب النبيين والمرسلين في القرآن الكريم .

وأنّه كان حِبّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأبا حِبّه أسامة بن زيد الكلبي .

وأنّه توّج حياته الحافلة بالجهاد المتواصل بالشّهادة ، فضحّى بنفسه فداءً لعقيدته ، ولم يُضَحّ بعقيدته فداءً لنفسه .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الشهيد ، الاداري الحازم ، حِبّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، زيد بن حارثة الكلبيّ .

جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي

أوّل سفير في الإسلام والقائد الشهيد

نسبه وأيامه الأولى

هو جعفر بن ابي طالب، واسم أبي طالب: عبد مَنَاف، بن عبد المُطّلِب ابن هاشِم بن عبد مَنَاف بن قُصَيّ القُرَشِيّ الهاشِميّ، وهو ابن عَمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأخو عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه لأبويه (١)، يكنى: أبا عبدالله بابنه عبدالله (٢).

أمّه: فاطمة بنت أسد بن هاشِم بن عبد مَنَاف بن قُصَيّ (٣)، وكان جعفر الثالث من أولاد أبيه أبي طالب، وكان طالِب أكبرهم سِنّاً، ويليه عَقِيل، ويلي عَقِيلاً جعفر، ويلي جعفراً عَلِي، وكلّ واحد منهم أكبر من شقيقه بعشر سنين، وعَلِيّ أصغرهم سِنّاً، وأمهم جميعاً: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مَنَاف بن قُصَيّ (٤)، وفاطمة أمهم أوّل هاشميّة تزوّجها هاشِميّ، وقد أسلمت وهاجرت إلى المدينة، وتُوفِّيت في زمن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ونزل عليه الصّلاة والسّلام في قبرها، وكان يكرمها (٥).

( ) أسد الغابة (١/٢٨٦-٢٨٧) والاصابة (١/٢٤٨) والاستيعاب (١/٢٤٢)، وانظر نسب قريش (١٧) وجمهرة أنساب العرب (١٤-١٥).

(٢) الاستيعاب (١/٢٤٢) والاصابة (١/٢٤٨) وطبقات ابن سعد (٤/٣٤).

(٣) طبقات ابن سعد (٤/٣٤) ومقاتل الطالبيين (٥).

(٤) مقاتل الطالبيين (٥)، وانظر أسد الغابة (١/٢٨٧).

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/١٤٩).

أسلم جعفر قبل أن يدخل رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم دار الأرقم ابن أبي الأرقم يدعو إلى الاسلام فيها (٦) ، وقد أسلم بعد إسلام شقيقه عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه بقليل ، وروي أنّ أبا طالب رأى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعَليّاً رضي الله عنه يُصَلِّيان ، وعليّ على يمينه ، فقال لجعفر : « صِلْ جناح ابن عمّك ، وصَلِّ على يَساره » ، وقيل : أسلم بعد واحد وثلاثين إنساناً ، وكان هو الثاني والثلاثين (٧) .

لقد كان جعفر من السّابقين الأولين إلى الاسلام (٨) .

المهاجر السّفير

١- لما رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مايصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، وأنّه لايقدر على أن يمنعهم ممّا هم فيه من البلاء ، قال لهم : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإنّ بها ملكاً لا يُظْلَم عنده أحد ، وهي أرض صِدْقٍ ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه » (٩) ، وكان بالحبشة مَلِك صالح يقال له النّجاشِيّ ، لا يُظْلَم أحد بأرضه ، وكان يُثْنَى عليه وفيه صلاح (١٠) ، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أرض الحبشة (١١) ، وكان ذلك في السنة الخامسة من النبوّة (١٢) ، أي في السنة الثامنة قبل الهجرة ، مخافة الفتنة ، وفراراً إلى

---

(٦) طبقات ابن سعد (٣٤/٤) .

(٧) أسد الغابة (٢٨٧/١) ، وانظر التفاصيل في سيرة ابن هشام (١ / ٢٦٥-٢٧١) وجوامع السيرة (٤٤-٤٨) والدرر (٣٩-٤١) .

(٨) الإصابة (٢٤٨/١) .

(٩) سيرة ابن هشام (٣٤٣/١) ، وانظر جوامع السيرة (٥٥) والدرر (٥٠) .

(١٠) الطبري (٣٢٨/٢) .

(١١) سيرة ابن هشام (٣٤٣/١) . (١٢) الطبري (٣٢٩/٢) .

الله بدينهم ، فكانت هذه الهجرة أوّل هجرة في الاسلام (١٣) ، وهي الهجرة الأولى إلى إرض الحبشة (١٤) .

وكما كان جعفر أحد السّابقين الأولين إلى الاسلام (١٥) ، كان أحد المهاجرين الأولين إلى الحبشة (١٦) ، فقد هاجر إليها ومعه امرأته أسماء بنت عُمَيْس بن النُّعْمَان بن كَعْب بن مالِك بن قُحافَة بن خَثْعَم الخَثْعَمِيّة (١٧) ، فولدت له هناك : عبدالله ، وعَوْناً ، ومحمّداً (١٨) .

وبعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كتاباً إلى النّجاشيّ مع جعفر هذا نصّه :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

من : محمّد رسول الله .

الى : النّجاشي الأصحم (١٩) ملك الحبشة .

سِلْمٌ أنت ، فأني أحمد إليك اللهَ الذي لا إله إلاّ هو ، الملك ، القُدّوس ، السّلام ، المؤمن ، المُهَيْمِن ، وأشهد أنّ عيسى بن مريم روح الله وكلمتُه ، ألقاها إلى مريمَ البتُولِ الطيّبة ، فحملت بعيسى ، فخلقه الله من روحه ونَفْخِهِ ، كما خلق آدمَ بيده ونَفْخِهِ .

وإني أدعوك إلى اللهِ وحده لا شريك له ، والموالاة له على طاعته ، وأنّ تَتّبعني وتؤمن بالذي جاءني ، فاني رسول الله .

وقد بعثتُ إليك ابن عمّي جعفراً ، ونفراً معه من المسلمين ، فاذا جاءك ،

(١٣) سيرة ابن هشام (٣٤٣/١) . (١٤) سيرة ابن هشام (٣٤٣/١) .
(١٥) الاصابة (٢٤٨/١) .
(١٦) أسد الغابة (٢٨٧/١) والاصابة (٢٤٨/١) والاستيعاب (٢٤٢/١) .
(١٧) سيرة ابن هشام (٣٤٥/١) .
(١٨) جوامع السيرة (٥٧) والدرر (٥١) .
(١٩) اسم النجاشي : أصحمة وليس الاصحم ، انظر البداية والنهاية (٧٧/٣) .

فأقْرِهم ، ودَعْ التّجبّر ، فاني أدعوك وجنودَك إلى الله، فقد بلّغتُ ونصحتُ فاقبلوا نُصحي .

والسّلام على من اتّبَعَ الهدَى » (٢٠) .

وقد أعطى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ابن عمّه جعفراً هذا الكتاب إلى النّجاشي وقت هجرة جعفر إلى الحبشة ، طالباً من النّجاشي العادل الاعتناء بحال الّلاجئين الغرباء في بلاده (٢١) من المسلمين ، وهم المهاجرون الأولون من المسلمين إلى أرض الحبشة ، كما دعاه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى الاسلام .

وذكر العبارة : « . . . وقد بعثت إليك ابنَ عمي جعفراً ونفراً معه من المسلمين ، فاذا جاءك ، فأقْرِهِم . . . » ، لايمكن أن تتعلّق بالكتاب المرسَل في السنة السّادسة الهجريّة مع عمرو بن أُميّة الضَّمْرِيّ ، حيث كان قد مضى خمس عشرة سنة على هجرة جعفر إلى الحبشة ، وكان على وشك الرّجوع إلى دار الاسلام .

والمصادر التي لم تذكر هذه العبارة في متن الكتاب النبوي متأخرة عن الطبري الذي ذكرها ، فليس ذكرها سهو من الطبري ، بل عدم ذكرها سهو من المتأخرين .

٢ـ ولما رأت قريش أنّ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد أَمِنوا وأطمأنّوا بأرض الحبشة ، وأنّهم قد أصابوا بها داراً وقراراً ، ائتمروا أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جليدين إلى النّجاشي فيردّهم عليهم ، ليفتنوهم في دينهم ، ويخرجوهم من دارهم التي أطمأنوا بها وأمنوا فيها ،

---

(٢٠) الطبري (٦٥٢/٢) وصبح الأعشى (٣٧٩/٦) ، وانظر تفاصيل المراجع والمصادر في : مجموعة الوثائق السياسية (٤٣-٤٤) في الوثيقة رقم (٢١) .

(٢١) مجموعة الوثائق السياسية (٣) .

فبعثوا عبدالله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل ، وجمعوا لهما الهدايا للنجاشي وبطارقته (٢٢) ، ثمّ بعثوهما إليه فيهم ، وأمروهما أن يدفعا إلى كلّ بطريق هديّته قبل أن يُكلِّما النجاشي في المسلمين المهاجرين إلى أرض الحبشة .

وخرجا حتى قدما على النجاشي ، فلم يبق من بطارقته بطريق إلاّ دفعا إليه هديته قبل أن يُكلِّما النجاشي وقالا لكلّ بطريق منهم : «إنّه قد ضَوَى (٢٣) إلى بلد الملك منا غِلْمَان سُفَهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاؤوا بدين مُبْتَدَع لانعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردّهم إليهم ، فاذا كلّمنا الملكَ فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ، ولا يُكَلِّمهم ، فانّ قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم » ، فقالوا لهما : « نعم » (٢٤) .

وكان أمير المؤمنين على المهاجرين إلى الحبشة جعفر بن أبي طالب .

وقدّم عمرو بن العاص وصاحبه هداياهما إلى النجاشي ، فقبلها منهما ، فكلّماه في المسلمين الذين هاجروا إلى بلاده ليردّهم إلى قريش ، فأرسل النجاشي إلى أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلما جاؤوا ، وقد دعا النجاشي أساقفته (٢٦) ، فنشروا مصاحفهم حوله ، فسألهم وقال لهم : « ماهذا الدِّين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا ديني ولا دين أحد من هذه الملل ؟ فأجابه جعفر عن المسلمين المهاجرين فقال له : « أيها الملك ! كنا أهل جاهليّة ، نعبد الاصنام ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحشَ ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل

(٢٢) البطارقة : فسره أبو ذر بالوزراء .

(٢٣) ضوى : أوى ولجأ ولصق .

(٢٤) سيرة ابن هشام (١/٣٥٦-٣٥٨) .

(٢٥) طبقات ابن سعد (٣٤/٤) .

(٢٦) الأساقفة : جمع أسقف ، وهو العالم في النصرانية .

القويّ منّا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث اللهُ إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحّده ، ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصِدْق الحديث وأداء الأمانة ، وصِلة الرَّحِم ، وحسن الجوار ، والكفّ عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقَذْفِ المُحصَنَة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لانُشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصّلاة والزّكاة والصيام – وعَدّد عليه أمور الاسلام – فصدّقناه وآمنّا به واتّبَعْناه على ما جاء به من الله ؛ فعبدنا الله وحده فلم نُشرك به شيئاً ، وحرّمنا ماحرّم علينا ، وأحللنا ماأحلّ لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذّبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ، وأن نستحلّ ماكنّا نستحلّ من الخبائث ، فلما قَهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على مَنْ سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا ألاّ نُظلَم عندك أيها الملك » ، فقال له النجاشي : « هل معك مما جاء به عن الله من شيءٍ ؟» ، فقرأ عليه صدراً من (كهيعص) (٢٧) ، فبكى النجاشي حتى اخْضَلّت (٢٨) لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخْضَلوا مصاحِفهم حين سمعوا ماتلا عليهم (٢٩) .

ثم قال النجاشي : « إنّ هذا والذي جاء به عيسى ليخْرُج من مشكاة (٣٠) واحدة ، فلا والله لاأسامهم إليكما ، ولا يُكادون » .

---

(٢٧) هي سورة مريم – مكية إلا آيتي ٥٨ و ٧١ فمدنيتان ، وآياتها ٩٨ ، نزلت بعد سورة فاطر – ١٩ .

(٢٨) اخضلت : ابتلت . وفي بعض النسخ : (أخضل لحيته) ، كما هو كذلك في النهاية لابن الأثير ، فأخضل على هذا مثل أكرم ، ومعناه بلها ، ولحيته على هذا مفعول ، مثل قوله : أخضلوا مصاحفهم . تقول : أخضل المطر الأرض : إذا بلها .

(٢٩) سيرة ابن هشام (١/٣٥٨-٣٥٩) .

(٣٠) المشكاة : الثقب الذي يوضع فيه الفتيل والمصباح ، وهي الكوة غير النافذة .

ولما خرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص : « والله لآتينه غداً عنهم ، أستأصل به خضراءهم (٣١) » ، فقال عبدالله بن أبي ربيعة ، وكان أتقى الرّجلين : « لاتفعل ، فانّ لهم أرحاماً ، وإنْ كانوا قد خالفونا » ، فقال : « والله لأخبرنّه أنّهم يزعمون أنّ عيسى بن مريم عبد » .

وغدا على النجاشي من الغد ، فقال : « أيّها الملك ! إنّهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً ، فأرسِلْ إليهم فَسَلْهُم عمّا يقولون فيه ».

وأرسل النجاشي إلى المسلمين المهاجرين ليسألهم عن عيسى، فلما دخلوا عليه قال لهم : « ماذا تقولون في عيسى بن مريم ؟ » ، فقال جعفر : « نقول فيه الذي جاءنا به نبينا صلّى الله عليه وسلّم : هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول » ، فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ، ثم قال : « والله ماعدا عيسى بن مريم ماقلت هذا (٣٢) العودَ . اذهبوا فأنتم الآمنون ، مَنْ سبّكم غرم ، ماأحبّ أنّ لي جبلاً من ذهب وأني آذيت رجلاً منكم ... ردّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها » فخرجا — عمرو ابن العاص وصاحبه — من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ماجاءا به ، وأقام المسلمون في أرض الحبشة عندالنجاشي في خير دار مع خير جار (٣٣) .

وهكذا أدّى جعفر واجبه في الدفاع عن المسلمين المهاجرين إلى أرض الحبشة وفي شرح تعاليم الاسلام للنجاشي ورجاله ، فنجح في إخفاق عمرو ابن العاص وصاحبه في مهمته إلى أرض الحبشة ، فعادا أدراجهما خائبَيْن .

٣— ولما هاجر النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة ، وأذن للمسلمين بالهجرة إليها ، وبدأ بوضع أسس المجتمع الاسلامي بالمؤاخاة ،

(٣١) أستاصل به خضراءهم : يعني جماعتهم ومعظهم .

(٣٢) قال أبو ذر : تقديريه ماجاوز مقدار هذا العود أو قدر هذا العود » أه .

(٣٣) سيرة ابن هشام (١/٣٦٠-٣٦١) وحلية الأولياء (١/١١٤-١١٦) وانظر عيون الأثر (١/١١٨-١١٩) .

آخى بين جعفر ومُعَاذ بن جَبَل من بني سَلِمَة الأنصار ، وكان جعفر غائباً بالحبشة (٣٤) .

وأكثر الذين أرّخوا لجعفر لم يذكروا هذه المؤاخاة بينه وبين مُعَاذ ابن جَبَل ، فقد كانت المؤاخاة بعد قدوم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة وقبل غزوة بدر الكبرى ، فلما كان يوم بدر نزلت آية الميراث وانقطعت المؤاخاة وجعفر غائب يومئذٍ بأرض الحبشة (٣٥) .

وأرسل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عمرو بن أُمَيّة الضَّمْرِي سفيراً الى النجاشي (٣٦) يدعوه إلى الاسلام سنة ست الهجريّة ، وكتب إلى النجاشي ، فأسلم النجاشي ، وأمره أن يزوّجه أمّ حَبِيْبَة بنت أبي سُفْيان بن حَرْب ويرسلها ويرسل مَنْ عنده من المسلمين (٣٧) .

فقد آمن النجاشي بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم واتّبعه ، وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب ، وأرسل إليه ابنه في ستين من الحبشة ، فغرقوا في البحر (٣٨) ، وبعث النجاشي بكسوة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم(٣٩).

وأرسل النّجاشي إلى النّوَاتيّ (٤٠) فقال : « انظروا مايحتاج فيه هؤلاء القوم من السُّفن ؟ » ، فقالوا : « يحتاجون إلى سفينتين ، فجهّزهم .

وكلّم قوم النّجاشيّ من الحبشة أسلموا ، في أن يبعث بهم إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُسَلِّموا عليه ، وقالوا : نصاحب هؤلاء ، فنجذف بهم في البحر ، وتعِينُهم ، فأذن لهم ، فشخصوا مع عمرو بن أُمَيّة ، وأمّر

---

(٣٤) سيرة ابن هشام (١٢٤/٢) والدرر (٩٩) وجوامع السيرة (٩٦) والاصابة (٢٤٨/١) .

(٣٥) طبقات ابن سعد (٣٥/٤) .

(٣٦) سيرة ابن هشام (٢٧٩/٤) وجوامع السيرة (٢٩) .

(٣٧) أسد الغابة (٨٦/٤) .

(٣٨) ابن الأثير(١١٣/٢) .

(٣٩) المحبر (٧٦) .

(٤٠) النواتى : مفردها نوتى ، وهو الملاح الذي يدير السفينة في البحر .

عليهم جعفر بن أبي طالب (٤١) .

ويبدو أنّ النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم ، أرسل عمرو بن أُميّة إلى النّجاشي في أواخر سنة ست الهجريّة ، فعاد من سفارته في أوائل سنة سبع الهجريّة ، لأنّ مهاجري الحبشة وعلى رأسهم جعفر : عادوا من أرض الحبشة إلى المدينة المنوّرة ، في أعقاب غزوة خَيْبَر التي كانت في شهر محرّم من سنة سبع الهجريّة (٤٢) .

وقدم جعفر في جماعة من المسلمين من أرض الحبشة بأثر فتح خَيْبَر (٤٣) ، فالتزمه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقبّل ما بين عينيه واعتنقه (٤٤) ، وقال : « والله ما أدري بأيهما أنا أسرّ ! أبقدوم جعفر ، أم بفتح خيبر » (٤٥) ، أو قال : « والله ماأدري ، أبقدوم جعفر أنا أُسرّ وأفرح ، أم بفتح خيبر » (٤٦) وأنزله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى جنب المسجد (٤٧) ، وقسم له من غنائم خيبر (٤٨) ، واختطّ له إلى جنب المسجد (٤٩) .

وهكذا كانت لجعفر هجرتان : هجرة إلى الحبشة ، وهجرة إلى المدينة (٥٠) وقد استقرّ في المدينة المنوّرة قاعدة المسلمين الرئيسة ، بعد أن طال غيابه عن وطنه ردحاً طويلاً من الزّمن ، استمرّ أكثر من أربع عشرة سنة في بلاد الحبشة ، من السنة الثامنة قبل الهجرة إلى أوائل السنة السّابعة الهجرية ،

(٤١) أنساب الأشراف (٢٢٩/١).
(٤٢) جوامع السيرة (٢١١) والدرر (٢١٧) .
(٤٣) الدرر (٢١٨) .
(٤٤) طبقات ابن سعد (٣٥/٤) .
(٤٥) سيرة ابن هشام (٤١٤/٣) .
(٤٦) الدرر (٢١٨) ، وفي طبقات ابن سعد (٣٥/٤) ماأدري بأيهما أنا أفرح ، بقدوم جعفر أم بفتح خيبر .
(٤٧) أسد الغابة (٢٨٧/١) .
(٤٨) طبقات ابن سعد (٣٥/٤) .
(٤٩) الاستيعاب (٢٤٢/١) .
(٥٠) أسد الغابة (٢٨٧/١) .

كان خلالها المسؤول الأول عن المسلمين المهاجرين إلى أرض الحبشة ، فأسلم على يديه النجاشي وغيره من الحبشة ، كما أسلم غير النجاشي وغير الذين أسلموا على يدي جعفر من الأحباش على أيدي غيره من المسلمين المهاجرين .

ولا مجال للشكّ في إسلام النّجاشي ، ولا مجال للتشكيك في إسلامه ، ولا يقبل الشك في إسلامه ولا التشكيك فيه مسلم حقّ ، لأنّ إسلام النّجاشي ثابت ، فقد صلى عليه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم صلاة الغائب حين بلغه موته ، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري (٥١) ، ومسلم (٥٢) والنسائي (٥٣) وفي جميع مصادر الحديث الشريف والفقه الاسلامي (٥٤) ، ولا تُصلّى صلاة الغائب إلاّ على المسلمين حسب ، وكان اسم النّجاشي الذي أسلم وصلّى عليه النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم صلاة الغائب : أَصْحَمَة (٥٥) .

في سَرِيّة مُؤْتَة (٥٦)

بعث النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم سرية مُؤْتَة في جمادى الأولى من سنة ثمانٍ الهجرية ، وكان سبب بعث هذه السرّية أنّ النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم بعث الحارث بن عُمَيْر الأزْدِيّ أحد بني لِهْبٍ إلى ملك بُصْرَى (٥٧) بكتاب يدعوه فيه إلى الاسلام ، فلما نزل مُؤْتَة عرض له شُرَحْبِيل بن عمرو

(٥١) فتح الباري بشرح البخاري (٣/٩٢) و (٣//١٦٤) في باب الرجل ينعي إلى أهل الميت بنفسه ، وباب التكبير على الجنازة أربعاً .

(٥٢) صحيح مسلم (٣/٥٤) في باب التكبير على الجنازة .

(٥٣) النسائي (٢/٢٣٧) في باب التكبير على الجنازة .

(٥٤) انظر التفاصيل في بحث : إسلام النجاشي ، في هذا الكتاب .

(٥٥) المحبر (٧٦) والبداية والنهاية (٣/٧٧) .

(٥٦) مؤتة : قرية من قرى البلقاء (الأردن) في حدود الشام ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان . (٨/١٩٠) ، وهي بأدنى البلقاء دون دمشق ، انظر طبقات ابن سعد (٢/١٢٥)

(٥٧) بصرى : مدينة من أعمال دمشق ، وهي قصبة حوران ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٠٨) .

الغَسّاني فقتاه ، ولم يُقْتَل لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، رسولٌ غيره ، فاشتدّ ذلك عليه ، وندب النّاس ، فأسرعوا ، وعسكروا خارج المدينة المنوّرة بالجُرْف (٥٨) ، وهم ثلاثة آلاف ، فقال رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم : « أمير الناس زيد بن حارثة ، فان قُتِل فجعفر بن أبي طالب ، فان قُتِل فعبدُالله بن رَوَاحة ، فان قُتِل فلْيَرْتَضِ المسلمون بينهم رجلاً ، فيجعلوه عليهم » .

وعقد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، لواءً أبيض دفعه إلى زيد بن حارثة ، وأوصاهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يأتوا مقتل الحارث ابن عُمَيْر ، وأن يدعوا مَنْ هناك إلى الاسلام ، فان أجابوا وإلاّ استعانوا عليهم الله وقاتلوهم. وخرج عليه الصلاة والسلام مشيّعاً لهم حتى بلغ (ثَنِيّة الوَداع) (٥٩)،فوقف وودّعهم،فلما ساروا من معسكرهم نادى المسلمون : دفع الله عنكم ، وردّكم صالحين غانمين !

فقال عبدالله بن رواحة :

لكنني أسأل الرحمــــن مغفرةً
وضربة ذات فرعٍ تقذف الزَّبدا (٦٠)

ولما فصل المسلمون من المدينة ، سمع العدو بمسيرهم ، فجمعوا لهم ، وقام فيهم شُرَحْبِيل بن عمرو ، فجمع أكثر من مائة ألف ، وقدّم الطّلائع أمامه .

ونزل المسلمون (مُعَان) (٦١) من أرضِ الشّام ، وبلغ الناس أنّ

---

(٥٩) الجرف : موضع على ثلا ثة أميال من المدينة نحو الشام ، انظر معجم البلدان (٣/٨٧) .

(٦٠) ثنية الوداع : ثنية مشرفة على المدينة ، سميت لتوديــع المسافرين منها ، انظــر معجم البلدان (٣/٢٥) .   (٦٠) ذات فرع : أي ذات سعة .

(٦١) معان : مدينة بطرف بادية الشام تلقاء الحجاز ، انظر معجم البلدان (٨/٩٣).

هِرقْل قد نزل (مَآب) (٦٢) من أرض البَلْقَاء في مائة ألف من بَهْراء ووائِل ولَخْم وجُذَام .

واقام المسلمون في مُعَان ليلتين لينظروا في أمرهم،وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فنخبره الخبر . . . . ولكنّ عبدالله بن رَوَاحة شجّع المسلمين على المُضِيّ قُدُماً إلى هدفهم تنفيذاً لأوامر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فمضوا إلى مُؤْتَة.

ولما وصل المسلمون إلى (مُؤْتَة) ، وافاهم المشركون هناك ، فجاءهم ما لاقِبَلَ لأحدٍ به من العَدَد والسّلاح والكُراع والديباج والحرير والذّهب ، فالتقى المسلمون بالمشركين ، وقاتل الأمراء يومئذٍ على أرجُلهم .

وأخذ اللِّواء زيد بن حارثة ، فقاتل ، وقاتل المسلمون معه على صفوفهم ، حتى قُتل طعناً بالرِّماح رحمه الله .

وأخذ اللِّواء ، جعفر بن أبي طالب ، فترجّل عن فرس له شقراء ، فعرقبها (٦٣) ، فكانت أوّل فرسٍ عُرْقِبَت في الاسلام ، وقاتل حتى استُشهدَ رضي الله عنه ، ضربه رجل من الروم ، فقطعه بنصفين ، فوجد في أحد نصفيه بضعة وثلاثون جرحاً ، ووجد فيما أقبل من بَدَن جعفر مابين منكبيه تسعون ضربة بين طعنة برمحٍ وضربة بسيف، وفي رواية أخرى اثنتان وسبعون ضربة بسيف وطعنة برمح (٦٤) .

وأخذ اللواء عبدالله بن رَوَاحة ، فقاتل حتى قتل رضي الله عنه ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فسحب قوّات المسلمين من ساحة المعركة وحمى بالسّاقة انسحابهم ، وعاد بهم إلى المدينة (٦٥) .

---

(٦٢) مآب : مدينة في طرف الشام بنواحي البلقاء ، انظر معجم البلدان (٢٤٩/٧) .
(٦٣) عرقبها : قطع عرقوبها ، وعرقوب الدابة في رجلها .
(٦٤) انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٣٨/٤-٣٩) .
(٦٥) طبقات ابن سعد (١٢٨/٢-١٣٠) وانظر مغازي الواقدي (٧٥٥/٢-٧٦٩) ! =

وهكذا مضى جعفر إلى ربِّه شهيداً ، مقبلاً غير مدبر ، يقاتل الرّوم وحلفاءهم من الغساسنة وهو يقول :

يا حَبّذا الجَنّة واقترابُها
طَيِّبة وبارداً شَرابُها
والرُّوم رُوْمٌ قد دَنا عَذابُها
كافرةٌ بَعيدَةٌ أنسابُها
عَليَّ إذْ لاقَيْتُها ضِرابُها

فأخذ جعفر اللِّواء بيمينه فقُطِعَت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحْتَضَنَهُ (٦٦) بعَضُدَيه حتى قُتل (٦٧) ، فسقط مضرجاً بدمائه دون أن يسقط اللِّواء ، فقد رفعه أحد المسلمين عالياً وتلك شجاعة فذّة ، وبطولة نادرة ، وإقدام لايتكرّر إلاّ قليلاً .

الإنسان

كانت سِنّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوم أسلم إحدى عشرة سنة على أصحّ ماورد من الأخبار في إسلامه ، وقيل : ثلاث عشرة ، وقيل : سبع سنين ، والثابت إحدى عشرة سنة ، لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بُعث وهذه سُنُوُّه ، فأقام معه بمكة ثلاث عشرة سنة (٦٨) ، أي أنّ عليّاً كان في الرّابعة والعشرين من عمره حين هاجر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة .

= وسيرة ابن هشام (٣/٤٢٧-٤٤٧) وجوامع السيرة (٢٢٠-٢٢٣) والدرر (٢٢٢-٢٢٣) وابن الاثير (٢/٢٣٤-٢٣٨) وعيون الأثر (٢/١٥٣-١٥٦) .

(٦٦) احتضنه : أخذه في حضنه ، وحضن الرجل : ماتحت العضد إلى أسفل .

(٦٧) سيرة ابن هشام (٣/٤٣٤) . (٦٨) مقاتل الطالبيين (١٧) .

وكان جعفر أكبر من عليّ بن أبي طالب بعشر سنين (٦٩) ، أي أنّ جعفراً كان في الرّابعة والثلاثين من عمره حين هاجر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من مكّة المكرّمة الى المدينة المنوّرة .

وقد استُشهدَ جعفر بمُؤْتَة من أرض الشام مُقْبلاً غير مُدْبرٍ مجاهِداً للروم في حياة النبي صلّى الله عليه وسلّم في شهر جمادى الأولى من سنة ثمانٍ الهجرية (٧٠) (٦٢٩ م) ، أي أنّه استشهد وكان له من العمر اثنتان وأربعون سنة (٧١) .

وولدَ جعفرُ : عبدَالله ، ومحمّداً ، وعَوْناً ، أمّهم : أسماء بنتُ عُمَيْس الخَثْعَميّة (٧٢) ، ولما هاجر جعفر إلى أرض الحبشة ، حمل امرأته أسماء بنت عُمَيْس ، فولدت له هناك : عبدالله ، ومحمّداً وعَوْناً . ثمّ وُلد للنجاشي بعدما ولدت اسماء بنت عُمَيْس ابنها عبدالله بأيام ، فأرسل إلى جعفر : « ماسمّيتَ ابنَكَ ؟ » ، قال : « عبدالله » ، فسمى النجاشي ابنه عبدالله ، فأخذته أسماء وأرضعته حتى فطمته بِلَبَن عبدالله بن جعفر ، ونزلت بذلك عندهم منزلةً ، فكان مَنْ أسلم بالحبشة يأتي أسماء بَعْدُ ، يخبرُ خبَرَهم . فلما ركب جعفر بن أبي طالب مع أصحاب السفينتين ، مُنْصَرَفهم من عند النجاشي ، حمل معه أسماء بنت عُمَيْس وَوَلَده الذين ولدوا هناك : عبدَالله ، ومحمّداً ، وعَوْناً ، حتى قدم بهم المدينة ، فلم يزالوا بها حتى وجّه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم جعفراً إلى مُؤْتَة ، فمات بها شهيداً (٧٢) .

---

(٦٩) أسد الغابة (٢٨٧/١) والاستيعاب (٢٤٢/١) والاصابة (٢٤٨/١) .

(٧٠) الاصابة (٢٤٨/١) وانظر تاريخ خليفة بن خياط (٤٩/١) والعبر (٩/١) . وتهذيب التهذيب (٩٨/٢)

(٧١) في تهذيب الأسماء واللغات (١٤٩/١) ، وكان لجعفر يوم توفي إحدى وأربعون سنة . أما في سيرة ابن هشام (٤٣٦/٣) فقد جاء : أنه قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة .

(٧٢) انظر نسبها في نسب قريش (٨٠-٨١) وجمهرة أنساب العرب (٣٩٠-٣٩١) .

ولجعفر ثلاثة أبناء من أسماء بنت عُمَيْس ، انقرض عقب محمّد من قِبَل ابنه القاسم ، ولم يكن له غيره ، ولعَوْن عقب غير مشهور ، وولد عبدالله بن جعفر ، وأولهم عليّ بن عبدالله بن جعفر ، وفيه الكثرة والعدد ، وأمه زينب بنت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه من فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (٧٤) .

ولما استُشهد حمزة بن عبدالمطلب ، خلّف ابنة واحدة ، فرآها علي بن أبي طالب تطوف حول الكعبة بين الرجال ، فأخذ بيدها وألقاها إلى فاطمة في هَوْدَجها . واختصم فيها عليّ بن أبي طالب ، وجعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة حتى ارتفعت أصواتهم ، فأيقظوا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من نومه ، فقال : « هَلُمّوا أقْضِ بينكم فيها وفي غيرها » ، فقال عليّ : « ابنة عمّي ، وأنا أخرجتها ، وأنا أحقّ بها » ، وقال جعفر : « ابنة عمّي ، وخالتها عندي » ، وقال زيد : « ابنة أخي » (٧٥) ، فقال في كلٍّ واحدٍ قولاً رضيه ، فقضى بها لجعفر ، وقال : « الخالة والدة » ، فقام جعفر فحجل (٧٦) حول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، دار عليه ، فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : « ما هذا ؟ » ، قال : « شيءٌ رأيتُ الحبشةَ يصنعونه بملوكهم » ، وخالة بنت حمزة أسماء بنت عُمَيْس ، وأمّها سَلْمَى

(٧٣) نسب قريش (٨١) .

(٧٤) انظر التفاصيل في جمهرة أنساب العرب (٦٨-٦٩) ونسب قريش (٨٠-٨٣) وانظر تهذيب الأسماء واللغات (١/١٤٩) .

(٧٥) آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين حمزة بن عبدالمطلب وزيد بن حارثة في مؤاخاة مكة ، انظر المحبر (٧٠) .

(٧٦) حجل – حجلا وحجلاناً : مشى على رجل ، رافعاً الأخرى . ويقال : مر يحجل في مشيته : إذا تبختر .

بنت عُمَيْس (٧٧) .

وقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لجعفر حين تنازع هو وعليٌّ وزيد في ابنة حمزة : « أَشْبَهَ خَلْقُكَ خَلْقِيْ ، وخُلُقُكَ خُلُقِيْ » ، وفي رواية أخرى : « أَشْبَهْتَ خَلْقِيْ وخُلُقِي » ، وفي رواية ثالثة : « إنّكَ شَبِيهُ خَلْقِي وخُلُقِي » (٧٨) » ، فهو أحد المعدودين من المشبَّهين بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم (٧٩) .

وكان اسم ابنة حمزة رضي الله عنه : أُمَامَة ، زوّجها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سَلَمَةَ ابن أبي سَلَمَةِ ، وكان يقول : « هل جزيت سَلَمَةَ ؟ » ، يعني حين زوّجه بنت حمزة بتزويجه إياه أمّه أمّ سَلَمَة (٨٠) .

وقد تزوّج أسماء بنت عُمَيْس بعد جعفر أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه ، ثم تزوجها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه (٨١) .

ولما أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قتلُ جعفر كما روت عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها فقالت : « عرفنا في وجه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الحزن » (٨٢) . ثم أمهل عليه الصلاة والسلام آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم ، ثم أتاهم فقال : « لاتبكوا على أخي بعد اليوم » ، ثم قال : « إئتوني ببني أخي » ، فجيء بنا كأننا أفراخ ، فقال : « ادْعوا إليّ الحلاّق » ، فدُعيَ ، فحلق رؤوسنا » ، ثم قال : « اللّهم اخْلُف جعْفراً في أهله ، وبارك لعبدالله في صفقة يمينه » ثلاث مرّات ، فجاءت أسماء وذكرت يُتْم أولادها ، فقال : « آلْعَيْلَةَ تخافين عليهم ، وأنا وليُّهم في الدنيا والآخرة ؟ » (٨٣) .

---

(٧٧) طبقات ابن سعد (٤/٣٥-٣٦) وانظر جمهرة أنساب العرب (٣٩٠) حول نسب أسماء وسلمى ابنتي عميس .

(٧٨) طبقات ابن سعد (٤/٣٦) .

(٧٩) انظر أسماءهم في المحبر (٤٦-٤٧)

(٨٠) المحبر (١٠٧) .

(٨١) المحبر (٤٤٢-٤٤٣) .

(٨٢) الاصابة (١/٢٤٩) .

(٨٣) طبقات ابن سعد (٤/٣٧) .

وصلّى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على جعفر ، ودعا له ، ثمّ قال : « استغفروا لأخيكم جعفر ، فانّه شهيد ، وقد دخل الجنّة ، وهو يطير فيها بجناحين من ياقوت حيث شاء من الجنة » (٨٤) .

وذُكر عن عبدالله بن جعفر أنّه قال : « أنا أحْفَظُ حين دخل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على أمّي ، فنعى لها أبي ، فأنْظُرُ إليه ، يمسح على رأسي ، وعيناه تهرقان بالدموع ، حتى تقطر لحْيَتُهُ ، ثمّ قال : « اللّهُمّ إنّ جعفراً قدم إلى احسن الثّواب ، فاخلفْه في ذرّيته بأحسن ما خلفتَ أحداً من عبادك في ذُرّيّته » ، ثمّ قال : « ياأسْماءُ ! ألاَ أُبَشِّركِ ؟ » ، قالت : « بَلى ، بأبي أنتَ وأمّي » ، قال : « إنّ الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنّة » ، قالت : « بأبي أنت وأمّي يارسول الله ، فأعْلِم الناس ذلك » ، فقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأخذ بيدي حتى رَقِيَ المِنْبَر ، وأجلسني أمامه على الدّرجة السُّفلى ، والحُزْنُ يُعْرَف عليه ، فتكلّم ، فقال : « إنّ المرءَ كثير بأخيه وابن عمّه ، ألاَ إنّ جعفراً قد استُشْهِدَ ، وقد جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنّة » ، ثمّ نزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فدخل بيته ، وأدخلني معه ، وأمر بطعام فصُنع لأهلي ، وأرسل إلى أخي ، فتغدّينا عنده ، والله غداءً طيّباً مباركاً : عمدَتْ سَلْمَى خادمه إلى شعير ، فطحنته ، ثم نسفته ، فأنضجَتْه ، وأدَمَتْهُ بزيتٍ ، وجعلت عليه فُلْفُلاً ، فتغدّيت أنا وأخي معه ، فأقمنا ثلاثة أيام في بيته ، ندور معه كلّما صار في بيت إحدى نسائه ، ثمّ رجعنا إلى بيتنا (٨٥) .

وفي صحيح البخاري أن عبدالله بن عمر بن الخطاب كان إذا سلّم على ابن جعفر قال : « السلام عليك يا ابن ذى الجناحين (٨٦) » ، لانّه قاتل

---

(٨٤) طبقات ابن سعد (٣٨/٤) . (٨٥) نسب قريش (٨١-٨٢) .

(٨٦) تهذيب الأسماء واللغات (١٤٩/١) والاصابة (٢٤٩/١) .

في مُؤْتَة فقطعت يداه والراية معه لم يُلقها ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « أبدله الله جناحين يطير بهما في الجنة » .

ولما نعى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جعفراً إلى زوجه أسماء بنت عُمَيْس ، قامت وصاحت وجمعت النساء ، فدخلت عليها فاطمة بنت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهي تبكي وتقول : « واعمّاه ! » فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « على مثل جعفر فلْتَبْكِ التواكي » ، ودخله من ذلك همٌّ شديد . ولما رجع عليه الصّلاة والسّلام إلى أهله قال : « لاتغفلوا آل جعفر ، فانّهم قد شُغلوا » (٨٨) ، فأعدوا لآل جعفر طعاماً ، وأوصى أسماء زوج جعفر بقوله : « لاتقولي هُجْراً ، ولا تضربي صدراً » (٨٩) .

وكان ممّا بُكِيَ به شهداء مُؤْتَة من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قول حسان بن ثابت :

تأوّبني لَيْلٌ بيَثْرِبَ أعْسَرُ
وَهَمٌّ إذا مانَوَّمَ النّاسُ مُسْهِرُ (٩٠)

لِذِكْرى حَبِيْبٍ هَيّجَتْ لِي عَبْرَةً
سَفُوحاً وأسبابُ البكاءِ التذكّرُ (٩١)

بَلَى إنَّ فُقْدانَ الحبيْبِ بَلِيّةٌ
وَكَمْ مِنْ كَرِيْمٍ يُبْتَلَى ثُمَّ يَصْبِرُ

---

(٨٧) أسد الغابة (٢٨٨/١) . (٨٨) أسد الغابة (٢٨٩/١) .

(٨٩) انساب الأشراف (٣٨٠/١) .

(٩٠) تأوبني : عادني ورجع إلى ، وأصله آب يؤوب : رجع وأعسر : شديد العسر . ومسهر : داع إلى السهر ، ومانع من النوم .

(٩١) العبرة : الدمعة . والسفوح : السائلة أو الشديدة السيلان .

رَأَيْتُ خِيَارَ المُؤْمِنِينَ تَوَارَدُوا
شَعُوبَ وَخَلْفاً بَعْدَهُمْ يَتَأَخَّرُ(٩٢)
فلا يُبْعِدَنَّ اللهُ قَتْلَى تَتَابَعوا
بِمُؤْتَةَ مِنْهُمْ ذو الجناحَيْنِ جَعْفَرُ
وَزَيْدٌ وعَبْدُاللهِ حِينَ تَتَابَعُوا
جميعاً وأسبابُ المَنِيَّةِ تَخْطُرُ (٩٣)
غَدَاةَ مَضَوا بالمؤمنينَ يَقُوْدُهُمْ
إلى المَوْتِ مَيْمُوْنُ النَّقِيْبَةِ أَزْهَرُ(٩٤)
أَغَرُّ كَضَوْءِ البَدْرِ من آلِ هاشِمٍ
أَبِيٌّ إذا سِيْمَ الظُّلامَةَ مِجْسَرُ (٩٥)
فَطَاعَنَ حتى مالَ غيرَ مُوَسَّدٍ
بِمُعْتَرَكٍ فيه قَنَاً مُتَكَسِّرُ (٩٦)
فصارَ مع المُسْتَشْهِدِينَ ثَوابُهُ
جِنَانٌ ومُلْتَفُ الحدائِقِ أخضَرُ(٩٧)
وكُنَّا نَرى في جَعْفَرٍ من مُحَمَّدٍ
وَفَاءً وأمْراً حازماً حينَ يَأمُرُ
ومازال في الاسلامِ من آلِ هاشِمٍ
دَعَائِمُ عِزٍّ لايَزُلْنَ ومَفْخَرُ

(٩٢) شعوب : تروى بضم الشين فهي جمع شعب ، وهو القبيلة ، ويقال : هو أكبر منها ، ويجب حينئذ نصبها منونة ، وتروى بفتح الشين ، فهي المنية ، فعول ، بمعنى فاعل سميت بذلك لأنها تشعب الأحباب ، أي تفرقهم . وخلفاً : تروى بالفاء ، ومعناه الذي يأتي بعدهم ، وتروى بالقاف ، وهوظاهر المعنى .

(٩٣) تخطر : تقول : خطر فلان في مشيته : إذا اختال فيها وتبختر وتحرك واهتز .

(٩٤) ميمون النقيبة : يريد أنه مسعود منجح فيما يطلبه . وأزهر : أبيض .

(٩٥) الأبي : العزيز الذي يأبى الضيم ، أي يمتنع من قبوله . سيم : كلف . المجسر : الشديد الجسارة .

(٩٦) المعترك : موضع الحرب .

(٩٧) الحدائق : جمع حديقة ، وهي الجنة .

هُمْ جَبَلُ الاسلامِ والنّاسُ حَوْلَهُمْ
رِضَامٌ إلى طَوْدٍ يَرُوقُ وَيَبْهَرُ (٩٨)

بَهَالِيلُ مِنْهُمْ جَعْفَرٌ وابنُ أُمِّهِ
عَلِيٌّ ومنهم أَحْمَدُ المُتَخَيَّرُ (٩٩)

وحَمْزَةُ والعَبّاسُ مِنْهُمْ ومنهمُ
عَقِيلٌ وماء العُودِ من حيثُ يُعْصَرُ

بِهِمْ تُفْرَجُ اللأْواءُ في كلِّ مَأزَقٍ
عَمَاسٍ إذا ماضاق بالنّاسِ مَصْدَرُ (١٠٠)

هُمُ أولياءُ اللهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ
عليهم وفيهم ذا الكتاب المُطَهَّرُ

وقال كعب بن مالك يرثي جعفر بن أبي طالب:

هَدَتِ العيون ودَمْعُ عَيْنَكَ يَهْمُلُ
سَحّاً كَمَا وَكَفَ الطِّبابُ المُخْضِلُ (١٠١)

في لَيْلَةٍ وَرَدَتْ عَلَيَّ هُمُومُها
طَوْراً أحِنُّ وتَارَةً أتَمَلْمَلُ (١٠٢)

---

(٩٨) الرضام: جمع رضم، وهو الحجارة يجعل بعضها فوق بعض. والطود: الجبل. ويروق: يعجب. (٩٩) البهاليل: جمع بهلول، وهو السيد.

(١٠٠) اللأواء: الشدة. والمأزق: المكان الضيق. والعماس: المظلم، يريد عند ارتفاع الغبار فيه.

(١٠١) يهمل: يسيل، تقول: همل الدمع: إذا سال. وسحا: صبا. ووكف: قطر. والطباب: ثقب في خرز المزادة التي يجعل فيها الماء. والمخضل اسم فاعل من أخضل: إذا تندى.

(١٠٢) في البداية والنهاية (٢٦١/٤): اتمهل، وورد كذلك في سيرة ابن هشام (٤٤٣/٣): كما في أعلاه، وأحن: مضارع من الخنة، وهي صوت يخرج من الأنف مع بكاء، أتململ: اتقلب.

واعتَادني حَزَنٌ فَبِتّ كَأنني
بِبَنَاتِ نَعْشٍ والسِّمَالُ مُوَكَّلُ (١٠٣)
وكأنّمَا بينَ الجَوانِحِ والحَشَا
ممّـا تَأوّبني شِهَابٌ مُدْخَلُ (١٠٤)
وَجْداً على النّفَرِ الذينَ تَتابعُوا
يوماً بمُؤْتَةَ أُسْنِدُوا لم يُنْقَلُوا
صلّى الإلهُ عليهمُ من فِتْيَةٍ
وسَقَى عِظَامَهُمُ الغَمَامُ المُسْبِلُ (١٠٥)
صَبَروا بمُؤْتَةَ للإلَه نفوسَهُمْ
حَذَرَ الردى ومَخَافَةً أَنْ يَنْكُلوا (١٠٦)
فَمَضَوْا أَمَامَ المسلمين كأنَهم
فُنُقٌ عليْهِنّ الحَديدُ المُرْفَلُ (١٠٧)
إذْ يَهْتَدونَ بجعفرٍ ولوائه
قُدَّامَ أوّلهم فَنِعْمَ الأوّلُ
حتى تَفَرّجَتِ الصُّفوفُ وجعفرٌ
حيثُ التَقَى وَعْثَ الصُّفوف مُجَدَّل (١٠٨)

---

(١٠٣) بنات نعش : من النجوم المعروفة .
(١٠٤) الجوانح : عظام اسفل الصدر . والشهاب : القطعة من النار . ومدخل اسم مفعول من أدخل .
(١٠٥) المسبل : الممطر ، ويقال للمطر سبل .
(١٠٦) ينكلوا : يرجعوا عن عدوهم هائبين .
(١٠٧) فنق : جمع فنيق ، وهوالفحل من الأبل . والمرفل : الذي تجر أطرافه على الأرض .
(١٠٨) الوعث : الرمل الذي تغيب فيه الأرجل . ومجدل : مطروح على الجدالة ،وهي الأرض .

فَتَغَيَّرَ القَمَرُ المنيرُ لفَقْدِه
والشَّمْسُ قد كُسِفَتْ وكادتْ تأفِلُ (١٠٩)

قَرْمٌ عَلا بُنْيَانُهُ من هاشِمٍ
فَرْعاً أَشَمَّ وسُؤْدَداً مايُنْقَلُ (١١٠)

قَوْمٌ بهمْ عَصمَ الأَلهُ عِبَادَهُ
وعليهمُ نَزّلَ الكتابُ المُنْــــزَلُ

فَضَلُوا المَعَاشِرَ عِزَّةً وتَكَرماً
وتَعَمَّدَتْ أَحْلاَمُهُمْ مَنْ يَجْهَلُ (١١١)

لايُطْلِقُوْنَ إلى السَّفاهِ حُبَاهُمُ
وتَرىَ خَطِيْبَهُمُ بِحَقٍ يَفْصِلُ (١١٢)

بِيْضُ الوجوهِ تَرى بُطُونَ أَكُفِّهِمْ
تَنْدَى إذا اعْتَذَرَ الزَّمانُ المُمْحِلُ (١١٣)

وبِهَدْيِهِمْ رَضِيّ الأَلهُ لخَلْقِه
وبِجَدِّهم نُصِرَ النبيّ المُرْسَلُ (١١٤)

---

(١٠٩) تأفل تغيب .

(١١٠) القرم : أصله الفحل من الأبل ، وأراد منه هنا : السيد . وقوله ومابنقل يروى بالقاف ، ومعناه ظاهر ويروى بالفاء ، ومعناه : لايحجر .

(١١١) تغمدت أحلامهم من يجهل : أي سترت أهل الجهل .

(١١٢) الحبى : بضم الحاء مقصوراً ، جمع حبوة ، مثل خطوة وخطى ، والحبوة أن يشبك المرء أصابع يديه بعضها ويجعلها في ركبتيه إذا جلس ، وربما احتبى الناس بحمائل السيف ونحوها .

(١١٣) الممحل : هو من المحل ، وهو الشدة والقحط وكلب الزمان والجدب .

(١١٤) بجدهم : يروى بالحاء المهملة والجيم مكسورة ، فأما من رواه بالمهملة ، فقد أراد به =

وقال حسّان بن ثابت يبكي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه :

ولقد بَكَيْتُ وعزَّ مَهْلِكُ جَعْفَرٍ
حِبُّ النبيِّ على البَرِيّة كلِّهـــا
ولقد جَزِعْتُ وقلتُ حين نُعِيْتَ لي
مَنْ للجِلادِ لَدَى العُقَابِ وظِلِّها (١١٥)
بالبِيْضِ حين تُسَلُّ من أَغْمادِها
ضَرْباً وإنْهَالِ الرِّماحِ وعَلِّها (١١٦)
بعدَ ابن فاطِمةَ المبارك جَعْفَرٍ
خيرِ البَرِيّةِ كُلِّها وأجلِّها (١١٧)
رُزْءاً وأكرمِها جميعاً مَحْتِداً
وأعَزِّها مُتَظَلَّماً وأذَلِّهـــا
للحق حين ينوبُ غير تَنَحُّلٍ
كذِباً وأنداها يَداً وأقلِّها (١١٨)
فُحْشاً وأكثرِها إذا ما يُجْتَدَى
فَضْلاً وأنداها يداً وأبلِّها (١١٩)

= إقدامهم وشجاعتهم وجرأتهم في أوقات النزال . وأما من من رواه بالجيم المكسورة ، فهو الاجتهاد .

(١١٥) العقاب في هذا المكان : الراية .

(١١٦) الانهال : أن تسقى الناس بعد الشراب الأول ، وهو معطوف على قوله الجلاد في البيت السابق . والعل : الشرب الثاني .

(١١٧) فاطمة ههنا : هي أم جعفر وعلي وعقيل أبناء أبي طالب ، وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي .

(١١٨) التنحل : الانتحال ، والتنحل : الكذب أيضاً .

(١١٩) يجتدى : تطلب جدواه ، والجدوى بفتح الجيم : المنحة والعطية .

بالعُرْفِ غيرَ مُحَمّدٍ لا مِثْلُهُ
حَيٌّ مِنَ احياءِ البَرِيّةِ كلِّها (١٢٠)

والشِّعر في رثائه كثير ، اكتفينا بجزء منه .

لقد كانت لجعفر مواقف مشهورة ،ومقامات محمودة ، وأجوبة سديدة ، وأحوال رشيدة ، وقال فيه أبو هُريرة : « ماااحتذى النِّعال ولا انتعل ، ولا ركب المطايا ، ولا لبس الثياب من رجل بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أفضل من جعفر بن أبي طالب » ، وكأنّه إنّما يفضِّله في الكرم ، فأما في الفضيلة الدينيّة ، فمعلوم أنّ الصدِّيق والفاروق بل وعثمان بن عفّان أفضل منه . وأما أخوه عليّ بن أبي طالب فالظّاهر أنّهما متكافئان أو عليٌّ أفضل منه ، وإنّما أراد أبو هريرة تفضيله بالكرم ، بدليل ماروواه البخاري عن أبي هريرة : « كان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب ، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته ، حتى إن كان ليخرج إلينا العُكّة (١٢١) التي ليس فيها شيء ، فنشقّها ، ونلعق مافيها » تفرّد به البخاري (١٢٢) ، فهو الجواد أبو الجواد (١٢٣) بحق . وكان أبو هريرة كما روي البغوي يقول : « كان جعفر يحب المساكين ويجلس إليهم ويخدمهم ويخدمونه (يحدِّثهم ويحدِّثونه) ، فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يكنيه : أبا المساكين (١٢٤) .

ولما عاد جعفر من أرض الحبشة مهاجراً إلى المدينة ، وقدم مع المسلمين في السفينتين على رسول الله صلّى الله عايه وسلّم في خَيْبَر ، أسهم لهم من

(١٢٠) سيرة ابن هشام (٣/٤٤٠–٤٤٥) وانظر البداية والنهاية (٤/٢٥٧) و (٤/٢٦٠–٢٦٢) ومقاتل الطالبيين (١٠–١١) .
(١٢١) : العكة زق صغير للسمن ، جمعها : عكاك ، وعكاك .
(١٢٢) البداية والنهاية (٤/٢٥٦–٢٥٧) .
(١٢٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/١٤٨) وتهذيب التهذيب (٢/٩١) .
(١٢٤) الاصابة (١/٢٤٨) .

غنائم خيبر ولم يسهم لمن لم يحضرها غير أهل السفينتين (١٢٥) ، فكانت حصة جعفر خمسين وسقاً من تمرٍ في كلّ سنة (١٢٦) .

وقد ورد ذكر جعفر في (المختصر) وفي مواضع من (المهذّب) ، منها: باب التكبير في العيد ، والتعزية ، والشّرط في الطلاق ، والحضانة (١٢٧) .

روى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وروى عنه ابنه عبدالله وبعض أهله وأمّ سَلَمَة وعمرو بن العاص وابن مسعود،وروى له النسائي في اليوم والليلة حديثاً واحداً من رواية ابنه عبدالله عنه في كلمات الفرح والمحفوظ عن عبدالله بن جعفر عن عليّ بن أبي طالب (١٢٨) .

وكان عبدالله بن جعفر يقول : « ماسألت عليّاً فامتنع ، فقلت له : بحق جعفر ، الاّ أعطاني (١٢٩) .

وكان عليّ بن أبي طالب يقول : « قال رسول الله صلّى الله عليه سلّم لم يكن قبلي نبيّ إلاّ قد أُعطي سبعة رفقاء نجباء وزراء ، وإني أُعطيت أربعة عشر » ، وعدّد أسماءهم ومنهم جعفر (١٣٠) .

وكان احد حواري رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهم : أبو بكر ، وعمر ، وعليّ ، وحمزة ، وجعفر ، وأبو عُبَيْدَة بن الجرّاح ، وعثمان ابن عفّان ، وعثمان بن مَظْعُون ، وعبدالرحمن بن عَوْف ، وسعد بن أبي وقّاص ، وطلحة بن عُبَيْد الله ، والزبير بن العَوّام رضي الله عنهم ، وقيل : للزبير بن العَوّام وحده (١٣١) حواري رسول الله صلّى الله عليه وسلم .

---

(١٢٥) تهذيب الأسماء واللغات (١٤٨/١) .

(١٢٦) طبقات ابن سعد (٤١/٤) .

(١٢٧) تهذيب الأسماء واللغات (١٤٨/١) .

(١٢٨) تهذيب التهذيب (٩٨/٢) وانظر خلاصة تذهيب تهذيب الكمال (٦٣) .

(١٢٩) الاصابة (٢٤٨/١) والاستيعاب (٢٤٤/١) وأسد الغابة (٢٨٩/١) .

(١٣٠) أسد الغابة (٢٨٧/١-٢٨٨) . (١٣١) المحبر (٤٧٤) .

وصدقت زوجه أسماء بنت عُمَيْس حيث وصفته بعد موته قائلة : « مارأيتُ شاباً من العرب كان خيراً من جعفر ، ولا رأيتُ كهلاً خيراً من أبي بكر » (١٣٢) .

وصدقت في رثائه حين قالت :

فآليتُ لا تَنْفَكُّ نفسي حزينةً
عليك ولا ينفكّ جلدي أغْبَرا

فللّه عَيْناً مَنْ رأى مثله فتىً
أكرَّ وأحمى في الهياجِ وأصبرا (١٣٣)

ومناقب جعفر كثيرة مشهورة (١٣٤) .

القائد

عاد جعفر إلى المدينة المنوّرة مهاجراً اليها من هجرته إلى أرض الحبشة في أعقاب غزوة خَيْبَر التي كانت في شهر محرّم من سنة سبع الهجريّة ، كما ذكرنا من قبل .

وكانت غزوة مُؤْتَة في شهر جمادى الأولى من السنة الثامنة الهجرية ، فمكث مع النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم سنة وثلاثة أشهر ، لم يكن فيها من الاحداث المهمّة غير عُمْرَة القضاء التي كانت في شهر ذي القعدة من السنة السنة السّابعة الهجريّة التي شهدها النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وغير بعض السرايا التي قادها أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم .

ثم جاءت سريّة مُؤْتَة ، وهي من أهم سرايا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، لأنها كانت على الرّوم في ارض الشّام وحلفائهم من العرب الغساسنة النصارى

(١٣٢) طبقات ابن سعد (٤١/٤) . (١٣٣) البداية والنهاية (٢٥٣/٤) .
(١٣٤) تهذيب الأسماء واللغات (١٤٩/١) .

وحلفاء الغساسنة من العرب النصارى والمشركين ، فكانت أوّل سريّة تتعرّض بالدولة البيزنطية وهي أكبر دولتين في العالم حينذاك : الرّوم والفُرْس ، كما كانت أوّل سريّة تنهض بتعرّض خارجيّ على نطاق دولي لا على نطاق محليّ قَبَلِيّ ، لذلك احتفل النبيّ بهذه الغزوة ، وحشد لها ثلاثة آلاف مجاهد من المسلمين وَوَلّى قيادتها : زيد بن حارثة الكلبي ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبدالله بن رَوَاحة .

وبالرغم من قِصَر المدّة التي بقي فيها جعفر إلى جانب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، إلاّ أنّه شارك في سرية مُؤْتَة قائداً ، فخاض معركة مهمّة جداً من معارك المسلمين على الرّوم وحلفائهم ، وهي المعركة التمهيديّة الحقيقيّة لفتح بلاد الشّام التي حملت المسلمين على تأسيس أوّل ركن لدولة الاسلام خارج شبه الجزيرة العربيّة ، على شواطئْ البحر الأبيض المتوسط الشرقيّة . ذلك أنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم إلى جانب تبليغه الدعوة الاسلامية إلى قادة العالم في وقته ، كان قائداً ماهراً يقظاً لايغضّ الطرف يقف ساكناً أزاء استشهاد رسوله الذي بعثه إلى أمير الغساسنة في بُصْرَى ، فأرسل سرية مُؤْتَة للأخذ بثأر رسوله الشهيد . وهناك عند مُؤْتَة على حدود البَلْقَاء إلى الشرق من الطرف الجنوبي للبحر الميت ، التقى المسلمون بقوّات الرّوم .

ومهما تكن الخاتمة التي لقيتها سرية مُؤْتَة، فان نتائجها وآثارها كانت بعيدة المدى ، فبينما رأى الرّوم تلك السريّة (غارة) من الغارات التي اعتاد البدو شنّها للنّهب والسّلْب ، كانت تلك السريّة في الواقع ومعركتها من نوع جديد لم تقدّر دولة الروم أهميتها ، فهي حرب منظّمة كانت لها مهمّة خاصة ، جعلت المسلمين يتطلّعون جدّياً لفتح أرض الشّام .

وفي العام التالي ، أي في السنة التاسعة الهجريّة (٦٣٠ م) ، قاد النبيّ

صلّى الله عليه وسلّم بنفسه غزوة (تبوك) ، فأظهر قوّة المسلمين ، وعاد الى المدينة منتصراً .

لقد قدّر الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام بعمق ودقّة أهمية سريّة مُؤْتَة وأهمية المعركة التي تخوضها ، وخطورتها على حاضر المسلمين ومستقبلهم ، لذلك جعل على تلك السريّة ثلاثة قادة من أبرز قادته وألمعهم ، إذا سقط الأول شهيداً ، تولّى القيادة الثاني ، فاذا استُشهدَ الثاني تولاّها الثّالث ، فاذا استُشهدَ اصطلح المسلمون على قائد يختارونه . وما ولّى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قبل سرية مُؤتة ولا ولّى بعدها ثلاثة قادة أو قائدين على سرية واحدة ، ولكن بُعْدَ نظره عليه الصّلاة والسّلام ، وتقديره لأهمية هذه السرية وخطورتها هو الذي جعله يولي ثلاثة قادة على سرية واحدة ، مرّة واحدة فقط في حياته العسكرية كلّها ، وقد صدقت الأحداث ماتوقعه ، فانهزمت السرية تعبوياً ولكنّها انتصرت سَوْقياً ، وأثرت في معنويات الرّوم تأثيراً عظيماً .

والهزيمة التعبوية لاتُعَدُّ شيئاً بالنسبة للانتصار السّوْقي كما هو معلوم.

وتولية جعفر القيادة في سرية مُؤْتَة على أهميتها وخطورتها ، دليل على كفايته القيادية وأنّه قائد من طراز فريد .

وليس من الصعب اكتشاف سمات جعفر القياديّة ، فقد كان من أولئك القادة ذوي العقيدة الراسخة ، الذين يضحّون أرواحهم من أجل عقيدتهم ، ويعتبرون الشّهادة فوزاً عظيماً .

وحين رفع اللّواءَ جعفر بعد استشهاد سلفه زيد بن حارثة ، كان يعلم بالتأكيد أنّه يسلك طريق الشهادة ، فأقبل على مصيره المرتقب مُقْبلاً غير مدبر باصرار وعناد واستقتال ، وهو دليل على شجاعته النادرة التي لاتتكرّر إلاّ في المجاهدين الصّادقين المحتسبين من ذوي العقيدة الرّاسخة والايمان العميق.

وكان يتمتّع بعقل سديد ومنطق صائب وذكاء وقّاد ، مما يؤدي إلى أن تكون قراراته سريعة صحيحة .

وكان ذا إرادة قويّة ثابتة ، يتحمّل المسؤولية ويحبّها ولا يتهرّب منها أويلقيها على عواتق الآخرين .

وكان ذا نفسية لاتتبدّل في حالتي النصر والاندحار ، ثابتة على الخطوب والاحداث ، والايمان بالقضاء والقدر يقوّي هذا الاتجاه .

وكان يعرف نفسيات رجاله وقابلياتهم ، ويكلّف كلّ فرد منهم مـا يستطيع أن يؤديه بكفاية وإتقان .

وكان يثق برجاله ويثقون به ، وكان موضع ثقة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وثقة أصحابه الكاملة ، وكان يحبّ رجاله ويحبونه ، ويعتمد عليهم ويعتمدون عليه .

وكان ذا شخصية نافذة ، يضبط رجاله ويسيطر عليهم ، ويتحلّى بالطّاعة التي هي الضبط المتين في أجلى مظاهره .

وكان ذا ماضٍ ناصع مجيد نسباً وفي خدمة الدّين الحنيف .

وكان عارفاً بمبادئ الحرب : يختار مقصده ويديمه ، يتّخذ مبدأ التعرّض سبيلاً لمعركته ، يحشد قوّته ، ويقتصد بمجهوده ، ويطبّق مبدأ الأمن على قوّته ، ويديم معنوياتها ، ويرعى قضاياها الاداريّة .

ولم يطبّق مبدأ : المباغتة في هذه السريّة ، فقد كان من الصعب إخفاء حركتها في تلك الظروف التي كان العدو يتوقع أن يهاجمهم المسلمون بعد مقتل رسول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أمير الغساسنة ، إذ من الصّعب السكوت عن قتله أو إهماله ، وهو رسول من رُسل الدعوة والرُّسل لاتُقتَل أبداً ، بل تُكرّم بموجب العُرْف السائد حينذاك حتى بين القبائل العربيّـة التي تسكن الصحراء البعيدة عن معالم الحضارة .

لقد كان قائداً متميّزاً ، وحسبه أن يكون من خريجي مدرسة الرسول القائد العظيمة عليه الصّلاة والسّلام في القيادة . . . والعقيدة .

السّفير

كانت مزايا جعفر سفيراً واضحة المعالم ، أهّلته للنهوض بواجبه في تبليغ رسالة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم للنجّاشي ملك الحبشة على أحسن وجه ، وأهّلته للنهوض بواجب الدعوة إلى الله في أرض الحبشة ، فآمن على يديه النجاشي وكثير من بني قومه ، وأهّلته للدّفاع عن المسلمين المهاجرين إلى أرض الحبشة تجاه مكايد سفيري مشركي قُريش اللذين كانا أثيرين لدى النجّاشي ولدى المقرّبين إليه من رجال الدين والسّلطة ، ولديهما الهدايا والمال الذي يغرون به النجاشي ورجاله المقربين ، بينما لم يكن لدى جعفر مايتقرّب به من الهدايا والمال للنجّاشي وغيره من أصحاب السلطان ، وكان يعاني الفقر والعوز والحرمان .

كما أهّلته تلك المزايا لقيادة المسلمين المهاجرين الذين قدموا معه أرض الحبشة من مكّة ، وقيادة المسلمين الجُدُد من الأحباش الذين اعتنقوا الاسلام على يديه وعلى ايدي اخوانه المهاجرين الآخرين ، فقد كان جعفر أمير المؤمنين على المسلمين المهاجرين إلى الحبشة وعلى المسلمين في أرض الحبشة كافةً ، مادام مهاجراً في أرض الحبشة حتى التحق بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة المنوّرة ، فكان جعفر نِعْمَ السفير القويّ الأمين ، ونِعْمَ الداعية الحصيف الحكيم ، ونعم المدافع الجريء البليغ ، ونِعْمَ القائد الحازم المقتدر .

أوّل هذه المزايا ، الانتماء والايمان ، فقد كان انتماؤه للاسلام حاسماً جازماً ، وكان من الذين سارعوا إلى اعتناق هذا الدين ، فكان من السّابقين الأولين ، ولعلّ الدليل القاطع على إيمانه العميق هجرته إلى أرض الحبشه ، مخلّفاً أهله وماله وبلده من أجل عقيدته ، وصبره الجميل على الغربة سنين

طويلة في ظروف معاشية قاسية أو غير مريحة على أقلّ تقدير . وانتماؤه وإيمانه ، هو الذي حفـّزه لرعاية إخوانه في الدِّين ، فكانت رعايته لهم لا تقلّ في حال من الأحوال عن رعاية أهله وزوجه وبنيه ، وادّى إلى الانسجام معهم في حياتهم الجديدة انسجاماً خفـّف عليهم معضلات الغُربة في ديار الغُربة ، ذلك لأنّ الثقة الكاملة كانت متبادلة بين جعفر والمسلمين المهاجرين ، وبين المسلمين المهاجرين وجعفر ، فكان بحقّ الأب والأخ والقائد والأمير للمسلمين المهاجرين وللمسلمين غير المهاجرين من الأحباش أيضاً .

كما أنّ الانتماء المطلق للاسلام والعقيدة الراسخة بتعاليمه ، أشـاع الانسجام الفكريّ بين المجتمع أفراداً أوجماعات ،وهذا يؤدي إلى التعاون المثمر بغير حدود .

وكان جعفر يتميز ، بالفصاحة ، فهو رجل من قريش أفصح العرب ، ومن بني هاشم أفصح قريش ، وعرضه قضيـّة المسلمين المهاجرين أمام النجاشي وبحضور عمرو بن العاص وصاحبه ، خير دليل على فصاحته المتميزة ومنطقه الواضح السّليم .

لقد كان أسلوبه البياني من ذلك السّهل الممتنع ، الذي لايشق فهمه على أحد ، ولكن الاتيان بمثله على كل أحد إلاّ نادراً .

وكان عالماً في الدِّين ، يحفظ مانزل من القرآن الكريم ، ويتلوه على أسماع الآخرين دليلاً على شرح الاسلام ، وجواباً على اعتراض المعترضين وتساؤل المتسائلين .

وكان على جانب عظيم من حسن الخُلُق ، فقـد كان أخير الناس للمسكين (١٣٥) ، وما احتذى النعال ولا ركب المطايا ولا ركب الكَوْر(١٣٦)

---

(١٣٥) أسد الغابة (٢٨٨/١).   (١٣٦) الكور : الجماعة الكثيرة من الأبل .

بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أفضل من جعفر (١٣٧) ، وقال عليه الصّلاة والسّلام : « أما أنت ياجعفر ، فأشبهت خَلقي وخُلُقي » (١٣٨) ، وحسبه بذلك دليلاً على أنّه كان على خُلق عظيم .

ولا شيء كالخُلق الكريم يؤدي إلى نجاح السّفير في سفارته ، لأنّه يستقطب القلوب حوله ، ويشدّ الناس اليه ، ويجعله موضع ثقتهم ، فيحقق مايصبو اليه من أهداف دون عناء .

لقد كان جعفر ومَن معه من المسلمين المهاجرين إلى ارض الحبشة لاجئين ، فلما تأكد النجاشي أنّهم على حقّ ، وأنّهم أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أنّ يقولوا ربنا الله ، بسط حمايته عليهم ومنعهم من أعدائهم مشركي قريش ، وبالتدريج تطوّر حال جعفر من حال إلى حال ، حتى أصبح النّجاشي رجلاً من المسلمين له مالهم وعليه ماعليهم ، وانتهى الأمر بالمسلمين المهاجرين أن عادوا إلى وطنهم مكرّمين معزّزين برعاية النّجاشي الكاملة وحمايته ، ولم يكن هذا التطور من حسن إلى أحسن إلاّ ثمرة من ثمرات الخُلق الكريم لجعفر بخاصة وللمسلمين المهاجرين بعامة .

وكان جعفر يتميّز بالصبر والحكمة ، وقد برز صبره الجميل في تحمل أخطار الهجرة من مكة إلى أرض الحبشة ، والتسلّل من مجتمع مشركي قريش الذين كانوا يناصبون أشدّ العداء للاسلام والمسلمين ، ويحرصون على بقاء المسلمين في مكة . ليتصرّف كلّ مشرك بما يشاء حين يشاء في إلحاق الأذى بالمسلمين القادرين على إلحاق الأذى بهم والذين لايقدرون على الدفاع عن أنفسهم ، وحتى لاينجو المسلمون من أذى مشركي قريش ورقابتهم . وكان

(١٣٧) أسد الغابة (٢٨٧/١) .
(١٣٨) مقاتل الطالبيين (١٢) وأسد الغابة (٢٨٧/١) .

مشركو قريش يطاردون المسلمين المهاجرين ، ويمنعونهم بشتى الوسائل من الهجرة ، والذين يلقون القبض عليهم من المسلمين المهاجرين ، لايفلتون من العقاب الصارم .

وبرز صبره الجميل في غربته الطويلة التي امتدّت أكثر من أربع عشرة سنة ، بعيداً عن أهله وقومه ووطنه .

كما برز صبره الجميل في مصاولة سفيري المشركين من قريش : عمرو ابن العاص وصاحبه ، ومصاولة أشياعهما الأحباش المقربين من النّجاشي ، والذين كان هواهم مع المشركين على المسلمين .

لقد كان في محنة طاحنة متّصلة ، تغلّب عليها بالصبر الجميل ، واجتازها بنجاح يدعو إلى الاعجاب ، ولكن بعناء شديد .

أما حكمته فتتجلّى في مناقشة عمرو بن العاص وصاحبه بحضور النجاشي ورجالاته ، وعمرو من دهاة العرب المعدودين ، وقد ضمن بهداياه وأمواله حاشية النّجاشي إلى جانبه ، ولكن حكمة جعفر ومنطقه السديد ، فوّت الفرصة على عمرو وصاحبه ، وجعل كيدهما ومَنْ معهما من حاشية النّجاشي هباءً تذروه الرياح ، فحاق المكر السيّىء بأهله ، وانتصر الحقّ على الباطل ، وجاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطلَ كان زهوقا .

ولم يكن موقف جعفر في مناقشته الرائعة سهلاً على كلّ حال .

وكان جعفر ألمعيّ الذكاء ، لذلك كان واسع الحيلة ، وطالما صادفته المشاكل والعراقيل ، منذ هاجر إلى الحبشة إلى أن هاجر إلى المدينة ، ولكنّه كان يجد لمشاكله ومعضلاته حلاً مناسباً ومخرجاً ملائماً .

وكان يتحلّى برواء المظهر ، فكان يملأ الأعين قَدْراً وجلالاً ، وقدقال فيه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : «أَشْبَهَ خَلْقُكَ خَلْقي ، وخُلُقُكَ خُلُقي » ،

وفي رواية أخرى : « أَشْبَهْتَ خَلقِي وخُلُقِي » وفي رواية ثالثة : « إنّك شَبِيهُ خَلْقِي وخُلُقِي » (١٣٩) ، فهو أحد المعدودين من المشبّهين بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم (١٤٠) .

ومن المعروف أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم ، كان متميّزاً برواء مظهره ، لا اختلاف في ذلك .

وما أصدق وصف زوجه أسماء بنت عُمَيْس له حين قالت : « ما رأيت شاباً من العرب كان خيراً من جعفر » (١٤١) ، وقد قالت ماقالت بعد استشهاده وبعد أن تزوّجت غيره وكانت في عصمة زوجها الجديد .

لقد كان جعفر يتحلىّ بمزايا السّفير النبويّ : الانتماء المطلق والايمان العميق ، والفصاحة العالية والعلم المتين وحسن الخلق ، والصبر الجميل والحكمة النّادرة ، وسعة الحيلة التي تستسهل الصعب وتحلّ المعضلات ، ورواء المظهر الذي يخلب العقول والقلوب معاً .

لذلك نجح في مهمته سفيراً نجاحاً باهراً ، كما نجح في مهماته الأخرى التي لاتقلّ أهمية عن سفارته .

جعفر في التّاريخ

يذكر التاريخ لجعفر ، أنّه كان من السّابقين الأولين إلى الاسلام ، وأنّه أسلم قبل أن يدخل الرسول صلّى الله عليه وسلّم دار الأرقم بن أبي الأرقم .

ويذكر له ، أنّه هاجر الهجرتين : إلى أرض الحبشة من مكّة في الهجرة الأولى وإلى المدينة من ارض الحبشة .

ويذكر له ، أنّه كان من أوائل المهاجرين إلى أرض الحبشة ، ومن أواخر مَنْ عاد منها إلى المدينة من المهاجرين .

---

(١٣٩) طبقات ابن سعد (٣٦/٤) . (١٤٠) انظر أسماءهم في المحبر (٤٦-٤٧)
(١٤١) طبقات ابن سعد (٤١/٤) .

ويذكر له ، أنّه كان أمير المؤمنين لمهاجري الحبشة منذ هجرته ، إليها من مكة ، إلى عودته منها إلى المدينة .

ويذكر له ، أنّه كان أوّل سفير نبويّ في الاسلام ، وأنّه أوّل مَنْ حمل رسالة من رسائل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى ملوك العصر وحكامه .

ويذكر له ، أنّ النّجاشي ملك الحبشة ، أسلم على يديه ، كما أسلم على يديه قسم من الأحباش .

ويذكر له ، أنّه دافع عن الأسلام والمسلمين أمام النّجاشي دفاعاً منطقياً مُقْنِعاً ، فجعل النّجاشي مع المسلمين على أعدائهم المشركين .

ويذكر له ، أنّه كان أشبه الناس خَلْقاً وخُلُقاً برسول الله صلىّ الله عليه وسلّم ، ومن أحبّ الناس إليه واقربهم إلى قلبه .

ويذكر له ، أنّه كان جواداً من أجواد العرب المشهورين ، وأنّه كان خير الناس للمساكين من فقراء المسلمين .

ويذكر له ، أنّه كان من قادة النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم ، وأنّه قاد سرية مُؤْتَة في موقف حرج عصيب ، فاستقبل السيوف والرِّماح مقبلاً غير مُدْبِر ، يتقدّم باللِّواء الذي يحمله إلى أمام .

ويذكر له ، أنّه سقط شهيداً في ساحة المعركة ، دون أن يسقط لواء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الذي رفعه بأسنانه بعد أن قطعت يداه .

رضي الله عن السفير الخطير ، الصحابي الجليل ، القائد الشهيد ، جعفر الطيّار بن أبي طالب الهاشِميّ القُرَشِيّ .

عبدالله بن رواحة الأنصاري الخزرجي

النقيب الشاعر القائد الشهيد

نسبه وأيامه الأولى

هو عبدالله بن رَوَاحَة بن ثَعْلَبَة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كَعْب بن الخَزْرَج بن الحارث بن الخَزْرَج (١) .

وأمّه : كَبْشَة بنت واقِد بن عمرو بن الأطنابة بن زيد مَنَاة بن مالك الأغر (٢) ، من الخزرج أيضاً ، يلتقي نسب أمه وأبيه بمالك الأغرّ .

وكان ابن رواحة يكنى : أبا محمّد ، وقيل : يكنى أبا رواحة (٣) ، ولعلّه كان يكنى بهما جميعاً (٤) ، وليس له عقب (٥) ، وهو خال النُّعمان ابن بشير (٦) ، لأنّ عَمْرَة بنت رواحة هي زوج بشير بن سعد وأم النُّعمان ابن بشير (٧) .

وكان عبدالله بن رواحة يكتب في الجاهليّة ، وكانت الكتابة في العرب قليلة (٨) يومذاك ، فكان من العرب القلائل الذين يكتبون في الجاهليّة .

---

(١) جمهرة أنساب العرب (٣٦٣) وطبقات ابن سعد (٥٢٥/٣) .
(٢) طبقات ابن سعد (٥٢٥/٣) .
(٣) أسد الغابة (١٥٦/٣) والأصابة (٦٦/٤) .
(٤) طبقات ابن سعد (٥٢٦/٣) .
(٥) طبقات ابن سعد (٥٢٦/٣) ، وفيه أنه خال بشير بن سعد ، والصحيح أن بشيراً زوج أخت عبدالله بن رواحة .
(٦) أسد الغابة (١٥٧/٣) . (٧) الاستبصار (١١٢) .
(٨) طبقات ابن سعد (٥٢٦/٣) وتهذيب ابن عساكر (٣٩٠/٧) .

أسلم قديماً (٩) وشهد بيعة العَقَبَة الآخرة ، وبايع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بها ، وكان الذين شهدوها من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين (١٠) ، وقيل كانوا سبعين وامرأتين (١١) . واختار النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم اثني عشر نقيباً ، كان منهم عبدالله بن رواحة (١٢) ، فهو خزرجيّ أنصاري نقيب .

ولما هاجر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من مكّة إلى المدينة صلى الجمعة في المسجد الذي في بطن الوادي في بني سالم بن عوف ، فكانت أوّل جمعة صلاّها في المدينة ، فأتاه رجال من بني سالم بن عَوْف ، فقالوا : « يارسول الله ! أقم عندنا في العَدَد والعُدَّة » ، فقال : « خلّوا سبيلها فانّها مأمورة » لناقته ، فخلّوا سبيلها ، فانطلقت ، فمرّت بدار الحارث بن الخزرج ، فاعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبدالله بن رواحة في رجال من بني الحارث بن الخزرج ، فقالوا : « يارسول الله ! هَلُمَّ إلينا إلى العَدَد والعُدَّة والمَنْعة » ، فقال : « خلّوا سبيلها فانّها مأمورة » (١٣) ، يريد : خلّوا سبيل ناقته .

وفي المدينة آخى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بين عبدالله بن رواحة والمقداد ابن عمرو (١٤) ، فأصبح ابن رواحة أحد أفراد المجتمع الاسلاميّ الجديد في المدينة المنوّرة ، قاعدة المسلمين الرئيسة الأولى .

(٩) البداية والنهاية (٢٥٦/٤) . (١٠) سيرة ابن هشام (٦٣/٢) و(٦٧/٢) .
(١١) الدرر (٧٥) .
(١٢) سيرة ابن هشام (٦٧/٢) وأنساب الأشراف (٢٤٤/١) والدرر (٧٥) وجوامع السيرة (٧٦) والمحبر (٢٦٩) .
(١٣) سيرة ابن هشام (١١٢/٢) والدرر (٩٣) وجوامع السيرة (٩٤) .
(١٤) الدرر (٩٩) .

في الجهاد

١- مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم

أ. في غزوة بدر الكبرى ، خرج عُتْبَة بن ربيعة بين أخيه شَيْبَة بن ربيعة وابنه الوليد بن عُتْبَة ، ودعوا إلى المبارزة ، فخرج اليهم فتيــة من الأنصار ثلاثة ، وهم عَوْف ومعوِّذ ابنا عَفْراء ، وعبدالله بن رواحة ، فقالوا : لستُم لنا بأكْفاء » . وأبوا إلاّ قومهم وخرج اليهم حمزة بن عبدالمطلب وعُبَيْدة ابن الحارث ، وعليّ بن أبي طالب ، فبارز عُبَيْدَةُ وكان أسنّ القوم عُتْبَة ابن ربيعة . وبارز حمزةُ شَيْبَةَ بن ربيعة ، وبارز عليٌّ الوليدَ بن عتْبَة واما حمزة فلم يُمهل شيبة أن قتله ، وأما عليّ فلم يُمهل الوليد أن قتله ، وأما عبيدة وعتبة فقد اختلفا ضربتين ، كلاهما جرح صاحبه ، فكرّ حمزة وعليّ بأسيافهما على عُتْبَة ، فقتلاه واحتملا عُبَيْدة إلى أصحابه (١٥) .

ولما انتصر المسلمون على المشركين في غزوة بدر الكبرى ، بعث النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم عبدالله بن رواحة بشيراً بالنّصْرِ إلى أهل (العالية) (١٦) ، وبعث زيد بن حارثة الكَلْبيّ إلى أهل (السّافلة) (١٧) ، فجعل عبدالله ينادي على راحلته : « يامعشرَ الأنصار ! أبشروا بسلامة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقَتْل المشركين وأسرِهم ! قُتل ابنا ربيعة ، وابنا الحجّاج ، وأبو جَهْل ، وقتل زَمْعَة بن الأسود ، وأُميّة بن خلف ، وأُسر سُهَيْل ابن عمرو ذو الأنياب في أسرى كثيرة » ، قال عاصم بن عَدِيّ : « فقمت اليه ، فنحوته ، فقلت : أحقاً ماتقول ؟ قال : إي والله ، وغداً يقدُم رسول

---

(١٥) سيرة ابن هشام (٢/٢٦٥) والدرر (١١٤) وجوامع السيرة (١١٢-١١٣) .

(١٦) العالية اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمايرها إلى تهامــة فهي العالية ، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهي السافلة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/ ١٠٠-١٠١) .

(١٧) انظر المادة (٢) في الهامش أعلاه ، وانظر سيرة ابن هشام (٢/٢٨٤-٢٨٥) .

الله صلّى الله عليه وسلّم إن شاءالله ومعه الأسرى مقرّنين » ، ثمّ اتّبع دور دور الانصار بالعالية – العالية بنو عمرو بن عوف وخَطْمَة ووائل ، منازلهم بها – فبشّرهم داراً داراً ، والصبيان يشتدّون معه (١٨) .

وكانت غزوة بدر الكبرى في شهر رمضان من السنة الثانية الهجرية (١٩) .

ب– وشهد عبدالله بن رواحة غزوة (أُحُد)(٢٠) ، فلما استُشهِدَ حمزة ابن عبدالمطلب عمّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعاد النبيّ أدراجه مع المسلمين إلى أهله ، ساق عبدالله بن رواحة نساء بني الحارث بن الخزرج إلى قرب دار النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فَنَدَبْنَ حمزةَ مع نساء الأنصار ، فأمر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أن يَعُدْنَ إلى منازلهن بعد أن دعا لهنّ ونهاهنّ الغد عن النّوح أشدّ النّهي (٢١) .

وكانت غزوة (أُحُد) في شهر شوّال من السنة الثالثة الهجريّة (٢٢) .

ج – وفي غزوة بدر الآخرة التي كانت في شهرشعبان (٢٣) من السنة الرابعة الهجرية ، استُخلف عبدالله بن رواحة على المدينة (٢٤) ، فأقام النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على ماء (بَدْر) ثمانية أيام ، ولكنّ أبا سفيان بن حرب لم يحضر مع قريش لقتال المسلمين كما وعد ، فعاد المسلمون إلى المدينة دون أن يلقوا كيداً (٢٥) .

د – وفي غزوة الخَنْدَق ، وهي غزوة الأحزاب التي كانت في شهر شوال من سنة خمس الهجريّة (٢٦) ، انضمّت يهود بني قُرَيْظَة إلى الأحزاب

---

(١٨) مغازي الواقدي (١/١١٤–١١٥) .
(١٩) ابن الأثير (١١٦/٢) وتاريخ خليفة بن خياط (١٥/١) والعبر (٢/١) .
(٢٠) طبقات ابن سعد (٥٢٦/٣) . (٢١) مغازي الواقدي (٣١٧/١) .
(٢٢) تاريخ خليفة بن خياط (٢٦/١) والعبر (٥/١) .
(٢٣) سيرة ابن هشام (٢٢١/٣) . (٢٤) مغازي الواقدي (٣٨٤/١) .
(٢٥) سيرة ابن هشام (٢٢١/٣–٢٢٢) . (٢٦) سيرة ابن هشام (٢٢٩/٣) .

ونقضت عهدها ، فلما علم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بانتقاض قُرَيْظَة ، بعث سعد بن مُعَاذ بن النُّعمان وهو يومئذ سيِّد الأوس ، وسعد بن عُبَادة ابن دُلَيْم أحد بني ساعدة بن كَعب بن الخزرج وهو يومئذ سيِّد الخزرج ، ومعهما عبدالله بن رَواحة وخَوَّات بن جُبَير أخو بني عمرو بن عوف ، فقال : « انطلقوا حتى تنظروا أحقّ مابلغنا من هؤلاء القوم أم لا ، فإن كان حقّاً ، فالحنوا لي لحناً أعرفه (٢٧) ، ولا تَفُتُّوا في أعضاد الناس (٢٨) ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم ، فاجهروا به للناس » . وخرجوا حتى أتوهم ، فوجدوهم على أخبث مابلغهم عنهم ، فأقبلوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فسلّموا عليه ثمّ قالوا : عَضَلٌ والقَارة ، أي كغدر عَضَل والقارة بأصحاب الرَّجِيْع : خُبَيْب وأصحابه ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « الله أكبر ، أبشروا يامعشر المسلمين » (٢٩) .

وانتهى الخبر حول نقض بني قريظة العهد ، فاشتدّ الخوف وعظم البلاء (٣٠) .

وبعثت عَمْرَة بنت رواحة ابنتها بحفنَة تمر عَجْوَة في ثوبها وكان المسلمون قد أصابتهم مجاعة شديدة ، وكان أهلوهم يبعثون اليهم بما قدروا عليه . وقالت عَمْرَة لابنتها : « يابُنَيَّة ! إذهبي إلى أبيك بشير بن سعد ، وخالك عبدالله بن رواحة . بغدائهما » ، فانطلقت الجارية حتى أتت الخندق ، فوجدت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جالساً في أصحابه ، فقال : « تعالي يابُنَيَّة ، ماهذا معك ؟ » ، فقالت : بعثتني أُمِّي إلى أبي وخالي بغدائهما » ،

(٢٧) فالحنوالى لحناً : اللحن : أن يخالف ظاهر الكلام معناه ، قال الشاعر :

ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا　　　واللحن يفهمه ذوو الألباب

(٢٨) يقال فت في عضده : إذا ضعفه وأوهنه .

(٢٩) سيرة ابن هشام (٣/٢٣٧-٢٣٨) وانظر مغازي الواقدي (٢/٤٤١) .

(٣٠) مغازي الواقدي (٢/٤٥٩) والدرر (١٨٣) وجوامع السيرة (١٨٨) .

فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « هاتيه » . ثم أمر بثوب فبُسط له ، وجاء بالتمر فنثره عليه فوق الثوب ، ونادى أهل الخندق للغداء . فاجتمعوا عليه يأكلون منه (٣١) .

٢ـ قائد السريّة

كانت هذه السرية في شوال سنة ست الهجرية إلى أُسَيْر بن رازم اليهودي ، فلما قُتل سَلاَّم بن أبي الحُقَيْق اليهودي ، أمّرت يهود عليهم ابن رازِم ، فسار في غَطَفَان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وبلغ ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فوجّه ثلاثة نفر في شهر رمضان سرّاً ، فسأل عن خبره وغِرّته ، فأُخبر بذلك . وقدم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأخبره الخبر ، فندب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الناس ، فانتدب له ثلاثون رجلاً ، فبعث عليهم عبدالله بن رواحة .

وقدموا على أسير فقالوا : « نحن آمِنون حتى نعرض عليك ماجئنا له ؟ » قال : « نعم ، ولي منكم مثل ذلك ؟ » ، فقالوا : « نعم » .

وقالوا لأسير : « إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، بعثنا إليك لتخرج اليه ، فيستعملك على خَيْبَر ويُحسِن اليك » . فطمع في ذلك ، وخرج وخرج معه ثلاثون رجلاً من يهود ، مع كل رجل رديف من المسلمين . حتى إذا كانوا بـ (قَرْقَرة ثِبَار) (٣٢) ، ندم أُسير ، وفكر بالخيانة . قال عبدالله ابن أُنَيْس ـ وكان في السريّة : « وأهوى بيده إلى سيفي ، ففطنت له ، ودفعت بعيري ، وقلت : غدراً أيْ عدوّ الله ! فعل ذلك مرتين ، فنزلت فَسُقْتُ بالقوم حتى انفرد لي أُسير ، فضربته بالسيف فأندرتُ عامة فَخِذِه

---

(٣١) مغازي الواقدي (٢/٤٧٦) .
(٣٢) قرقرة ثبار : موضع على ستة أميال من خيبر باتجاه المدينة، انظر معجم البلدان (٣/٥).

وساقه وسقط عن بعيره ، وبيده مِخْرَش (٣٣) من شَوْحَط (٣٤) فضربني فشجنّي ، وملنا على أصحابه فقتلناهم كلّهم غير رجل واحد أعجزنا شدّاً ، ولم يُصَبْ من المسلمين أحدٌ . ثم أقبلنا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فحدّثناه الحديث ، فقال : « نجّاكم الله من القوم الظالمين » (٣٥) .

وهكذا أدىّ عبدالله بن رواحة واجبه على أحسن الوجوه ، دون أن يتكبّد المسلمون خسائر مادّية بالأرواح والمواد .

٣- قبل سريّة مؤتة (٣٦)

أ- شهد عبدالله بن رواحة بعد عودته من سريته إلى خَيْبَر ، غزوةَ الحُدَيْبِيَة (٣٧) وغزوة خَيْبَر ، وفي الطريق إلى خيبر ، قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لعبدالله بن رواحة : « ألا تُحَرِّك بنا الرَّكْب ؟ » ، فنزل عبدالله عن راحلته وقال :

والله لولا أنتَ ما اهتَدَينا
ولا تَصَدَّقْنا ولا صَلَّيْنَا
فأنْزِلنْ سَكِينَةً علينا
وثبِّتِ الأقدامَ إنْ لاقَينا
والمشركون قد بغوا علينا

---

(٣٣) المخرشة : عصا معوجة الرأس كالصولجان .

(٣٤) شوحط : ضرب من شجر جبل السراة تتخذ منه القسي . واحدته : شوحطة .

(٣٥) طبقات ابن سعد (٢/٩٢-٩٣) ومغازي الواقدي (٢/٥٦٦-٥٦٨) وسيرة ابن هشام (٤/٢٩٢-٢٩٣) وعيون الأثر (٢/١١١) . وأنساب الأشراف (١/٣٧٨) .

(٣٦) مؤتة : قرية من قرى البلقاء في حدود الشام على اثني عشر ميلا من أذرح ، انظر معجم البلدان (٨/١٩٠) .

(٣٧) طبقات ابن سعد (٣/٥٢٦) .

فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « اللهمَّ ارحمْهُ » ، فقال عمر ابن الخطّاب رضي الله عنه : « وَجَبَتْ يارسول الله ! » ، فقُتل يوم مُؤْتَة شهيداً (٣٨) .

ولما قسم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أرض خيبر على المسلمين ، تسلّم عبدالله سهم بني الحارث بن الخزرج ، إذ كان لكلّ مائة رأس، منهم رأس يُعْرَف، يَقْسّم على أصحابه ماخرج من غلّتها ، وكان رأس بني الحارث ابن الخزرج عبدالله بن رواحة (٣٩) .

وكان رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم يبعث ابن رواحة إلى أهل خيبر خَارِصاً (٤٠) بين المسلمين ويهود ، فَيَخْرِص عليهم ، فاذا قالوا : تَعَدَّيتَ علينا ، قال : « إن شئتم فلنا ، وإن شئتم فلكم » ، فتقول يهود : « بهذا قامت السموات والأرض » ، وإنما خرص عليهم ابن رواحة عاماً واحداً ، ثم أُصيب بمؤتة (٤١) .

ب ــ وشهد عُمْرَة القضاء (٤٢) ، التي كانت في شهر ذي القعدة من سنة سبع الهجريّة (٤٣) ، وحين دخل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مكّة في تلك العُمْرَة ، دخلها وعبدالله بن رواحة آخذ بخطام ناقته يقول :

خَلّوا بَنِي الكُفّار عن سَبِيْلِه
خَلّوا فكلُّ الخَيْر في رسوله (٤٤)

---

(٣٨) مغازي الواقدي (٦٣٩/٢) وانظر طبقات ابن سعد (٥٢٦/٣) .
(٣٩) مغازي الواقدي (٦٨٩/٢-٦٩٠) و (٧١٨/٢) .
(٤٠) الخارص : الذي يقدر التمر وهوعلى النخيل قبل أن ينضج ، والخرص هنا هو التقدير.
(٤١) سيرة ابن هشام (٤٠٩/٣) وانظر مغازي الواقدي (٦٩١/٢) .
(٤٢) طبقات ابن سعد (٥٢٦/٣) .
(٤٣) تاريخ خليفة بن خياط (٤٨/١) والعبر (٨/١) .
(٤٤) سبيله : طريقه التي انتهجها له الله تعالى .

يارب إنّي مؤمِنٌ بقيلِه
أعرفُ حقّ اللهِ في قبولِه (٤٥)
نحنُ قتلناكُم على تأويلِه
كما قتلناكم على تنزيلِه
ضرباً يُزيلُ الهامَ عن مقيلِه
ويُذهِلُ الخليلَ عن خليلِه (٤٦)

فقال عمر بن الخطّاب : « ياابن رواحة ! حرم الله ، وبين يدي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وتقول هذا الشعر ؟ ! » ، فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : « خلّ عنه ياعمر ! فوالذي نفسي بيده لكلامه أشدّ عليهم من وقع النّبل » (٤٧) .

لقد كان مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في غزواته كافة ، وكان أثره واضحاً فيها .

٤- في سَريّة مُؤْتة

بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في جمادى الأولى من سنة ثمانٍ الهجريّة بعثه إلى الشّام في ثلاثة آلاف مجاهد ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال : « إن أُصيبَ زيدٌ فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فان أُصيب جعفر فعبدالله ابن رواحة على الناس » ، فتجهز الناس ثم تهيّأوا للخروج .

---

(٤٥) قيله : القيل بكسر القاف ، والقول بفتح وسكون ، والقال بالفتح وقلب الواو ألفاً ، كل ذلك عند جماعة من أهل اللغة بمعنى واحد ، ويقال : القول هو المصدر ، والقيل الاسم .

(٤٦) الهام : جمع هامة ، والمراد هنا الرأس ، ومقيل الهام الأعناق . ويذهل : يشغل ، انظر سيرة ابن هشام (٣/٤٢٥) .

(٤٧) الاصابة (٤/٦٧) وانظر مغازي الواقدي (٣/٧٣٦) وطبقات ابن سعد (٣/٥٢٧) .

ولما أكملت السرية استحضاراتها للحركة ، ودّع النّاس أمراءَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسلّموا عليهم ، فلما وُدع عبدالله بن رواحة مع مَنْ وُدِّع من أمراءَ رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم بكى ، فقالوا : مايبكيك ياابن رواحة ؟ فقال : أما والله مابي حب الدنيا ولا صبابة بكم ، ولكني سمعت رسول الله صلّى الله عليهوسلّم يقرأ آية في كتاب الله عزّ وجلّ يذكر فيها النار : (وَإنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها ، كانَ على ربِّكَ حَتْماً مَقْضيّا) (٤٨) ، فلست أدري كيف لي بالصُّدور بعد الوُرُود . ، فقال المسلمون : صحبكم الله ، ودفع عنكم ، وردّكم إلينا صالحين . فقال عبدالله بن رواحة :

لكنّني أسألُ الرحمنَ مغفرةً
وَضَرْبَةً ذاتَ فَرْعٍ تَقْذِفِ الزَّبَدا(٤٩)

أو طعنةً بِيَدَيْ حَرَّانَ مُجْهِزَةً
بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الأحشَاءَ والكَبِدا(٥٠)

حتى يُقَالَ إذا مرّوا على جَدَثي
أرْشَدَهُ اللهُ من غازٍ وقد رَشَدا (٥١)

وخرج القوم ، وخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يشيّعهم ، حتى إذا ودّعهم وانصرف ، قال عبدالله بن رواحة :

خَلَفَ السّلامُ على امْرِئٍ ودَّعْتُهُ
في النّخلِ خَيْرِ مُشَيِّعٍ وخَلِيْلِ

---

(٤٨) الآية الكريمة من سورة مريم (١٩ : ٧١) .

(٤٩) ذات الفرع يريد واسعة . والزبد أصله ما يعلو الماء ، وأراد هنا ما يعلو الدم الذي ينفجر من الطعنة .

(٥٠) مجهزة : سريعة القتل : أجهز على الجريح ، إذا أسرع في قتله وتنفذ الأحشاء : تخرقها وتصل إليها .

(٥١) الجدث بفتح الجيم والدال المهملة وآخره ثاء مثلثة : القبر .

ثم مضوا حتى نزلوا (مُعَان) (٥٢) من أرض الشّام ، فبلغ الناسَ أنّ هِرَقْل ملك الروم قد نزل (مآب) (٥٣) من أرض (البَلْقاء) (٥٤) في مائة ألفٍ من الروم ، وانضمّ اليهم من لَخْمٍ وجُذَام وبَلْقَيْن وبَهْراء وبَلِيّ مائة ألف منهم ، عليهم رجل من بَلِيّ ثم من أحد إرَاشَة يقال له : مالك بن زافلة ، فلما بلغ ذلك المسلمين ، أقاموا على مُعَان ليلتين يفكّرون في أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم ، ونخبر به بعَدَد عدوّنا ، فاما أن يمدّنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فنَمْضِيَ » ، فشجّع الناسَ عبدالله بن رواحة ، وقال : « ياقوم ! والله إنّ التي تكرهونَ للتي خرجتم تطلبون : الشّهادة . وما نقاتل الناسَ بعَدَد ولا قُوّة ولا كثرة ، ولا نقاتلهم إلاّ بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا ، فانّما هي إحدى الحُسْنَيَيْنِ : إما ظهور ، وإما شهادة » ، فقال الناس : « قد والله صَدَقَ ابنُ رواحة » ، فمضى الناس ، فقال عبدالله بن رواحة في مَحْبَسِهم ذلك :

جَلَبْنَا الخيلَ من أجأ وفَرْعٍ
تُغَرّ من الحشيشِ لها العُكُومُ (٥٥)
حَذَوْناهُمْ من الصَّوّانِ سِبْتاً
أَزَلَّ كأنَّ صَفْحَتَهُ أَدِيْمُ (٥٦)

---

(٥٢) معان : بلد في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء ، انظر معجم البلدان (٩٣/٨) ، وهي مدينة أردنية في الوقت الحاضر .

(٥٣) مآب : مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء ، انظر معجم البلدان (٣٤٩/٧).

(٥٤) البلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى ، قصبتها عمان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة ، انظر معجم البلدان (٢٧٦/٢-٢٧٧) .

(٥٥) اجأ – بفتح الهمزة والجيم وآخره همزة : أحد جبلي طيْ والآخر سلمى. وفرع ، يروى بالعين المهملة وبالغين المعجمة : اسم موضع . وتغر : تطعم شيئاً بعد شيء ، تقول : غررت الطائر : إذا أطعمته . والعكوم : الجنوب وفي رواية : جلبنا الخيل من آجام قرح . وقرح : اسم موضع أيضاً .

(٥٦) حذوناهم : أي جعلنا لها حذاء ، والحذاء : النعل . والصوان والحجارة الملس ، =

أقامتْ ليلتين على مُعَان
فأُعْقِبَ بعد فَتْرَتِهَا جُمُومُ (٥٧)
فَرُحْنَا والجِيَادُ مُسَوَّماتٌ
تَنَفَّسَ في مناخرها السَّمومُ (٥٨)
فلا وأبي (مآبَ) لآتِيَنْهَا
وإنْ كانت بها عَرَبٌ وروم
فَعَبَّأنا أَعنّتَها فجاءتْ
عوابِسَ والغُبَارُ لها بَرِيمُ (٥٩)
بذي لَجَبٍ كأنَّ البِيْضَ فيه
إذا بَرَزَتْ قَوانِسُها النجومُ (٦٠)
فَرَاضِيَةُ المْعِيْشَةِ طَلَّقَتْهَا
أَسِنَّتُها فَتَنْكِحُ أو تَئِيْمُ (٦١)

ومضى الناس قُدُماً إلى هدفهم ، وكان زيد بن أَرقم يتيماً لعبدالله بن رواحة في حِجْرِهِ ، فخرج به في سفره ذلك وقد أردفه على حقيبة (٦٢) رَحْلِهِ ، فسمعه ينشد في ليلة من اللّيالي هذه الأبيات :

= واحدتها صوانة والسبت بكسر السين : النعال التي تصنع من الجلد المدبوغ ، وأزل : املس ظاهر الصفحة . والأديم : الجلد .

(٥٧) الجموم : استراحة الفرس ، وأراد هنا استعداده ونشاطه .

(٥٨) مسومات : مرسلات ، أو معلمات . والسموم : الريح الحارة .

(٥٩) بريم : هو في الأصل خيط تنظمه المرأة ثم تشده على وسطها ، وأراد ههنا الحزام .

(٦٠) بذي لجب ، اللجب : كثرة الاصوات واختلاطها ، وذو اللجب : الجيش . والقوانس: جمع قونس ، وهو أعلى البيضة. والنجوم : خبر كأن ، وجملة الشرط وجواب المحذوف معترضة .

(٦١) تئيم : تبقى بغير زوج .

(٦٢) الحقيبة : مايجعله الراكب وراءه إذا ركب .

إذا أدَّيْتني وحَمَلْتِ رَحْلِي
مَسيْرَةَ أربعٍ بعد الحِسَاء (٦٣)
فَشَأنُكِ أَنْعُمٌ وخَلاكِ ذَمٌّ
ولا أَرْجِعْ إلى أهْلِي ورائي (٦٤)
وجــاء المسلمون وغَــادَرُوْني
بأرضِ الشّامِ مُشْتَهِيَ الثّواءِ(٦٥)
وردَّك كلُّ ذي نَسَبٍ قَرِيْبٍ
إلى الرحمنِ مُنْقَطِعَ الإخَــــاء
هنالك لا أُبالي طَلْعَ بَعْــلٍ
ولا نَخْلٍ أسافِلُها رِواءُ (٦٦)

فما سمعها زيد بن أرقم حتى بكى ، فخفقه (٦٧) عبدالله بن رواحة بالدِرَّة وقال : « ماعليك يالُكَعْ (٦٨) أن يرزقني الله شهادة ، وترجع بين شُعْبتي الرَّحْل (٦٩) ؟ » .

وقال زيد بن أرقم : « قال عبدالله بن رواحة في سفره ذلك وهو يرتجز » :

(٦٣) أصل الحساء جمع حسى ، والحسي : ماء يغور في الرمل ، فاذا بحثت عنه وجدته .
(٦٤) ولا أرجع : جزم هذا الفعل على الدعاء ، يدعو على نفسه بأن يستشهد في هذه السرية ولا يرجع إلى أهله .
(٦٥) الثواء بفتح الثاء المثلثة : الاقامــة ، وتقول : ثوى المكان يثوى – من باب ضرب – إذا أقام .
(٦٦) البعل : الذي يشرب بعروقه من الأرض ، والعذى : الذي يشرب من ماء السماء ، وقوله : أسافلها رواء : أظهر مافيه أنه مبتدأ وخبر ، ففي هذا البيت الاقواء ، وهو اختلاف حركة الروى .
(٦٧) خفقني : ضربني . والدرة : العصا .
(٦٨) لكع : اللئيم .
(٦٩) شعبتا الرحل : طرفاه المقدم والمؤخر .

يازَيْدُ زَيْدُ اليَعْمَلاتِ الذُّبَّل
تَطَاوَلَ اللَّيْلُ هُدِيْتَ فانزِلِ (٧٠)

ومضى النّاس ، حتى إذا كانوا بتُخوم (٧١) البَلْقاء ، ثمّ دنا العدو ، وانحاز المسلمون إلى برية مُؤْتَة ، فالتقى الناس عندها .

وتعبأ لهم المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عُذْرَة يقال له : قُطْبَة بن قَتَادَة ، وعلى مَيْسَرتهم رجلاً من الأنصار يقال له : عبادَة بن مالك .

والتقى الناس ، ونشب القتال بين الجانبين ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، حتى شاطَ في رماح القوم (٧٢) .

وأخذ الراية جعفر بن أبي طالب ، فقاتل بها حتى إذا أَلْحَمَه القتال اقتحم عن فرس (٧٣) له شقراء ، فعقرها ، ثمّ قاتل القوم حتى قُتِل ، فكان جعفر أوّل رجل من المسلمين عَقَر في الاسلام .

وكان جعفر يردّد حين كان يقاتل :

ياحبّذا الجنّةُ واقترابُها
طيّبةً وبارداً شرابُها
والرُّوم رُومٌ قد دنا عذابُها
كافِرَةٌ بعيدةٌ أنسابُها
عليَّ إذ لاقيتُها ضِرَابُها

وأخذ جعفر اللّواء بيمينه ، فقطعت ، فأخذه بشماله ، فقطعت ، فاحتضنهُ

(٧٠) اليعملات : جمع يعملة ، وهي الناقة السريعة . والذبل : التي اضعفها السير فقل لحمها .
(٧١) تخوم : حدود الأرضين التي تقع بين ارض وأرض ، ويقال بفتح التاء أو ضمها .
(٧٢) شاط في رماح القوم : أي هلك ، تقول : شاط الرجل ، إذا سال دمه فهلك .
(٧٣) اقتحم عن فرس له : أي رمى بنفسه عنها ، يريد أنه كان فارساً فترجل .

بعَضُدَيه (٧٤) حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، ويقال : إنّ رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه (٧٥) نصفين .

وأخذ الرّاية عبدالله بن رواحة ، فتقدّم بها وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ويتردّد بعض التردّد ، ثم قال :

أَقْسَمْتُ يا نَفْسُ لَتَنْزِلِنّه
لَتَنْزِلِنَّ أو لَتُكْرَهِنّه
إنْ أَجْلَبَ النّاسُ وشَدُّوا الرَّنّه
مالي أراكِ تَكْرَهينَ الجنّه (٧٦)
قد طَالمَا قد كُنْتِ مُطْمَئِنّه
هَلْ أنتِ إلاّ نُطْفَةٌ في شَنّه (٧٧)

وقال أيضاً :

يانَفْسُ إلاّ تُقْتَلِي تَمُوتي
هذا حَمِامُ المـوتِ قد صَلِيتِ
وما تَمَنّيْتِ فقد أُعْطِيتِ
إنْ تَفْعَلي فعْلَهُما هُدِيتِ

يريد : صاحبيه زيداً وجعفرا ، ثمّ نزل .

وأتاه ابن عَمّ له بِعَرْقٍ (٧٨) من لحم ، فقال : « شُدَّ بهذا صُلْبَكَ ، فانّك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت » ، فأخذه من يده ، ثمّ انْتَهَس(٧٩)

---

(٧٤) احتضنه : أخذه في حضنه ، وحضن الرجل : ماتحت العضد إلى أسفل .
(٧٥) فقطعه : يروى في مكانه فقطه – بتشديد الطاء ، وقطه وقطعه بمعنى واحد .
(٧٦) أجلب الناس : صاحوا واجتمعوا . والرنة : صوت فيه ترجيع يشبه البكاء .
(٧٧) النطفة : الماء القليل الصافي . والشنة : القربة القديمة .
(٧٨) العرق : العظم الذي عليه بعض اللحم .
(٧٩) انتهس : أخذ بفمه منه يسيراً .

منه نَهْسَةً ، ثمّ سمع الحَطَمَة (٨٠) في ناحية الناس ، فقال : « وانتِ في الدنيا ! ! » ، ثمّ أخذ سيفه وتقدّم ، فقاتل حتى قُتِلَ .

ثمّ أخذ الراية ثابت بن أَرْقَم أخو بني العَجْلان ، فقال : « يامعشر المسلمين ! اصْطَلِحُوا على رجلٍ منكم » ، قالوا : « أنت ! » ، قال : « ماأنا بفاعل » ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الرّاية دافعَ القومَ وحاشى بهم (٨١) ، ثم انحاز وانحيز عنه ، حتى انصرف بالناس ، وأَقْبَلَ بهم قافلاً .

فلما دنوا من حول المدينة ، تلقاهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمون ، ولقيهم الصبيان يشتدّون ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم مقبل مع القوم على دابّة ، فقال : « خذوا الصّبيان فاحملوهم وأَعطوني ابن جعفر » ، فأُتيَ بعبدالله ، فأخذه فحمله بين يديه . وجعل الناس يَحْثُون على الجيش التراب ويقولون : يافُرّار ! فَرَرْتُمْ في سبيل الله ! ! فيقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « لَيْسُوا بالفُرّار ، ولكنّهم الكُرّار إن شاء الله تعالى » (٨٢) .

وأخيراً استراح الراحة الأبدية مَنْ كان لايَستريح ولا يُريح ، يجاهد بلسانه ويده وسيفه ، وظلّ يجاهد حتى اللّحظات الأخيرة من حياته ، وهو يحمل لواء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ويستقتل دفاعاً عنه وعن مُثُله

(٨٠) الحطمة : الكسرة .

(٨١) قيل : هو بالحاء المهملة من المحاشاة ، وقيل : هو بالخاء المعجمة ، وأصله الخشية ، أي أن فعله معهم كانه فعل من يخشى .

(٨٢) انظر التفاصيل في : سيرة ابن هشام (٣/٤٢٧-٤٤٧) ومغازي الواقدي (٢/٧٥٥-٧٦٩) وجوامع السيرة (٢٢٠ - ٢٢٢) وطبقات ابن سعد (٢/١٢٨ - ١٣٠) والدرر (٢٢/-٢٢٣) وأنساب الأشراف (١/٣٨٠) والبداية والنهاية (٤/٢٤١-٢٥٣) والبخاري (٣ / ١٤٣) والطبري (٣ / ٣٦-٤٢) وابن الأثير (٢/٢٣٤-٢٣٨) وعيون الأثر (٢/١٥٣-١٥٦) ونهاية الأرب (١٧)٢٧٧-٢٨٣) .

العليا ، فسقط ابن رواحة شهيداً مضرجاً بدمائه ، دون أن يسقط لواء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقد تلقّفه مجاهد جديد يسعى إلى الشّهادة دونه ، فضحّى ابن رواحة بروحه من أجل دينه ، ومات الذين حرصوا على الحياة ، كما مات ابن رواحة ،ولكن شتان بين الميتتين .

الإنسان

١. الشّاعر

كان عبدالله بن رواحة أحد شعراء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الذين يذبّون عن الاسلام بألسنتهم : كعب بن مالك السلمي ، وعبدالله بن رواحة ، وحسّان بن ثابت من بني النّجار ، وكلّهم من الخزرج من الأنصار (٨٣) ، وكان من شعراء الصحابة المشهورين (٨٤) .

وقد كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يوم الخندق ينقل التراب ، حتى وارى التراب شعر صدره ، وهو يرتجز برجز ابن رواحة .

تالله لولا اللهُ ما اهتدينا ولا تصدّقنا ولا صلّينا
فأنزِلَنْ سكينةً علينا وثبِّتِ الأقدام إن لاقينا
إن الأولى لقد بغوا علينا وإن أرادوا فتنةً أبينا (٨٥)

وروى هشام بن عروة عن أبيه قال : « سمعت أبي يقول : ماسمعت أحداً أجْرَأ ولا أسرع شعراً من عبدالله بن رواحة ، سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول له يوماً : قُلْ شعراً تقتضيه السّاعة وأنا أنظر إليك ، فانبعث مكانه يقول :

إني تفرّست فيك الخير أعرفُه
والله يعلم أنْ ما خانني البصرُ

(٨٣) جوامع السيرة (٢٨) .
(٨٤) البداية والنهاية (٢٥٨/٤) .
(٨٥) تهذيب ابن عساكر (٣٩٤/٧) .

أنتَ النبيُّ ومَن يُحرم شفاعتــهُ
يومَ الحساب لقد أزْرَى بــه القَــدَرُ
فثَبَّتَ اللهُ ما آتاكَ مــن حــسن
تثبيتَ موسى ونصــراً كالــذي نُصروا

فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : وانت فثبّتكَ اللهُ ياابنَ رواحة » .
قال هشام بن عروة : « فثبّته الله عزّ وجل أحسن الثبات ، فقُتل شــهيداً وفتحت له الجنّة ، فدخلها » .

وفي رواية ابن هشام :

إني تفرّستُ فيــك الخير نافلــةً
فراسة خالفت فيك الذي نظــروا
أنتَ النبيّ ومَنْ يُحرم نوافلــهُ
والوجْهَ منك ، فقد أزرى به القَدَرُ (٨٦)

وتمام القصيدة هي :

إني توسّمت فيك الخير نافلةً
والله يعلم أنْ ما خانني البصرُ (٨٧)
فثبّتَ الله ما آتاكَ من حَسَنٍ
تثبيتَ موسى ونصراً كالذي نُصِروا
يا آل هاشم إنّ اللهَ فضّلكــم
على البريّةِ فضلاً ما لــه غِيَــرُ

(٨٦) الاستيعاب (٣/٩٠١) والاستبصار (١٠٩-١١٠) .
(٨٧) في تهذيب ابن عساكر (٧ / ٣٩٣) : والله يعلم أني ثابت البصر » ، وما أثبتناه في أعلاه أصح ، والسبب واضح .

ولو سألتَ أو استنصرتَ بعضهم
في جُلِّ امرك ما آووا ولا نصـــروا

فَخَبِّرونيَ أثمـــان العَباء مـــتى
كنتم بطاريق أو دانتْ لكـــم مُضَرُ

نُجَالِدُ الناسَ عن عرضٍ فنأسرهم
فينا النبيّ وفينا تنــزلُ السّــــــورُ

وقد علمتم بأنّا ليس يغلبنـــا
حيٌّ من النّاس إن عزّوا وإن كثُروا

وروي أنه لما قال : فثّبت الله ما آتاك من حسن » ، قال له النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : « وإياك ياسيِّد الشعراء » (٨٨) .

وعن أبي هُرَيرة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قل : « إنّ أخاً لكم لايقول الرّفث ـ يعني ابن رواحة وذلك لقوله :

وفينا رسولُ الله يتلو كتابَـــه
إذا انشق معروف من الفجر ساطـــعُ

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنـــا
به موقنات أنّ ما قال واقـــــــع

يبيتُ يُجافي جنبُه عن فراشِـــــه
إذا استثقلت بالكافرين المضاجـــع

وأعلم علمـــاً ليس بالظـــنّ أنني
إلى الله محشورٌ هناك وراجع(٨٩)

---

(٨٨) تهذيب ابن عساكر (٣٩٥/٧) وانظر طبقات ابن سعد (٥٢٨/٣) .
(٨٩) تهذيب ابن عساكر (٣٩٥/٧) .

وقال يبكي حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه الذي استُشهد في غزوة أحُد :

بكتْ عَيني وحُقّ لـها بُكاها
ومايُغْنِي البُكاءُ ولا العَويلُ(٩٠)
على سدِ الاْله غَداةَ قالوا :
أحمزةُ ذاكُمُ الرجـلُ القتيـلُ
أصيب المسلمون بـه جميعاً
هناكَ وقـد أُصيبَ بـه الرَّسولُ
أبا يَعْلَى لكَ الأركانُ هُدّتْ
وأنت الماجِدُ البَرُّ الوَصولُ (٩١)
عليك سلامُ ربِّك في جِنَانٍ
مُخَالطِها نَعيمٌ لايَـزُول
ألا يا هاشمْ الأخيـار صبـراً
فكـلٌ فَعَالكُمْ حَسَنٌ جميـل
رسول الله مُصْطَبِرٌ كريـمٌ
بأمر الله ينطقُ إذ يقـول
ألا مَنْ مُبْلِـغٌ عنى لُؤيّـاً
فبعدَ اليومِ دائلـةٌ تـدول (٩٢)

---

(٩٠) العويل : البكاء مع ارتفاع صوت .

(٩١) أبو يعلى : هي كنية حمزة رضي الله عنه ، وكان حمزة يكنى بابنه يعلى ، ولم يعش لحمزة ولد غيره ، وكان كذلك يكنى : أبا عمارة ، وعمارة بنت له .
والماجد : الشريف .

(٩٢) دائلة تدول : يريد دائرة الحرب .

وقَبْلَ اليومِ ماعَرَفُوا وذاقــوا
وقائعُنا بها يُشْفَى الغليلُ (٩٣)
نَسِيتُمْ ضَرْبَنَا بقَلِيبِ بَدْرٍ
غداةَ أتاكُمُ الموتُ العَجِيلُ (٩٤)
غداةَ ثَوَى أبو جَهْلٍ صَرِيعاً
عليه الطَّيْرُ حائمةً تَجُــولُ (٩٥)
وعُتْبَةُ وابنُهُ خَرَّا جميعــاً
وشَيْبَةَ عَضَّهُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ (٩٦)
ومَتْرَكُنَا أُميّةَ مُجْلَعِبّــاً
وفي حَيْزومِهِ لَدْنٌ نَبِيلُ (٩٧)
وهامَ بني رَبِيْعَةَ سائِلُوهَــا
ففي أسيافنــا منهــا فُلُــولُ
ألا ياهِنْد فابْكي لا تَمَــلّي
فأنتِ الواله العَبْرى الهَبولُ (٩٨)
ألا ياهِنْدُ لا تُبْدِي شَمَاتــاً
بحمزة ، إن عِزَّكُمُ ذليــلُ (٩٩)

---

(٩٣) الغليل : حرارة الجوف من عطش أو حزن . (٩٤) العجيل : العاجل السريع .
(٩٥) حائمة : تدور حوله ، تقول : حام الطائر حول الماء : إذا دار حوله . وتجول تجيء وتذهب . (٩٦) خرا جميعاً : سقطا على الأرض .
(٩٧) مجلعباً : معناه أنه ممتد مع الأرض . والحيزوم : أسفل الصدر . واللدن : الريح اللين . والنبيل : العظيم .
(٩٨) الواله : الشديد الحزن ، أو هي الفاقد . والعبرى : الكثيرة الدمع . والهبول : التي فقدت عزيزها .
(٩٩) سيرة ابن هشام (٣/١٤٨-١٤٩) ، وقال ابن هشام : أنشد فيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك « ولكن ابن إسحق نسبها لابن رواحة » .

وقال يبكي نافع بن بُدَيل بن وَرْقاء التي استشهد في سرية بئر معونة :

رَحِمَ اللهُ نافِعَ بنَ بُدَيْلٍ
رحمةَ المُبْتَغِي ثوابَ الجِهادِ

صابِرٌ صادقٌ وفِيٌّ إذا ما
كثُرَ القومُ قالَ قولَ السّدادِ (١٠٠)

وقال في بدرِ الآخرة :

وعَدْنا أبا سُفْيَانَ بَدْراً فلم نَجِدْ
لميعاده صِدْقاً وما كانَ وافِيا

فأقْسِمُ لو وافيتَنا فلَقِيْتَنا
لأبْتَ ذَمِيْماً وافْتَقَدتَ المَوَاليا (١٠١)

تركْنَا به أوصالَ عُتْبَةَ وابنِهِ
وعَمْراً أبا جَهْلٍ تَرَكناهُ ثاويا (١٠٢)

عَصَيْتُمْ رسولَ اللهِ أفٍ لدينكُمُ
وأمرِكُمُ السَّيْءِ الذي كان غاوياً (١٠٣)

فاني وإنْ عَنَّفْتُموني لقائِلٌ
فِدىً لرسولِ اللهِ أهلي وماليا(١٠٤)

---

(١٠٠) سيرة ابن هشام (١٨٩/٣) . (١٠١) افتقدت : فقدت. والموالى جمع مولى، ولها معان كثيرة ، منها ابن العم ، ومنها الناصر والمعين .

(١٠٢) الثاوي : المقيم ، تقول : ثوى بالمكان يثوى : إذا أقام به .

(١٠٣) أف : كلمة تقال عند استقباح الشيء وعند تعذره . وقوله : وأمركم السيء بفتح السين وسكون الياء وأصله بتشديد الياء فخففه ، كما قالوا ، هين، ولين ، وميت ، وقيل: الأصل في جميعها تشديد الياء .

(١٠٤) عنفتموني : لمتموني .

أطَعْنَاه لم نَعْدِلْهُ فينـا بغيرِهِ
شِهَاباً لنا في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ هادِيا (١٠٥)

لقد كان شاعراً مجيداً ، حاضر البديهة ، يرتجل الشعر القويّ الرصين ، ويوظِّف شعره في خدمة الاسلام والمسلمين ، فكان من شعراء الدّعوة المعدودين ، ومن أبرز شعراء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم والشعراء الاسلاميين.

٢. العـالم

كان ابن رواحة يكتب في الجاهليّة ، وكانت الكتابة في العـرب قليلة (١٠٦) كما ذكرنا ، وقد روى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه نهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً (١٠٧) ، وروى عنه أيضاً : « نهانا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يقرأ أحدنا القرآن وهو جُنُب » (١٠٨) . وقال : « توضّأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومسح على الموقين (الخُفّين)»(١٠٩).

روى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعن بلال المؤذّن ، وروى عنه ابن أخته النّعمان بن بشير بن سعد وأبو هُرَيرة وابن عبّاس وأنس ، وأرسل عنه عبدالرحمن بن أبي ليلى وقيس بن أبي حازم وعُرْوَة بن الزُّبير وعَطاء بن يَسار وزيد بن أسلم ، وعكرمة وأبو الحسن مولى بني نوفل وأبوسَلَمَة بن عبدالرحمن (١١٠) .

---

(١٠٥) قوله ولم نعدله : يريد لم نعدل به ، أي لم نجعله مع غيره سواء ، انظر سيرة ابن هشام (٢٢٣/٣) .
(١٠٦) طبقات ابن سعد (٥٢٦/٣) وتهذيب ابن عساكر (٣٩٠/٧) .
(١٠٧) انظر مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي (٢ / ٣٤٣) ، حديث صحيح ، وانظر تهذيب ابن عساكر (٣٩٠/٧) .
(١٠٨) أسند اليه الحافظ وإلى أسامة بن زيد عن بلال ، انظر تهذيب ابن عساكر(٣٩٠/٧) .
(١٠٩) تهذيب ابن عساكر (٣٩٠/٧) .
(١١٠) تهذيب التهذيب (٢١٢/٥) وانظر الاستيعاب (٨٩٨/٣) .

وحديثه في البخاري وسنن النسائي وسنن ابن ماجة ، انفرد له البخاري بحديث موقوف (١١١) ، روى حديثاً واحداً عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم (١١٢) ، وكان من أصحاب الفُتْيَا من الصّحابة عليهم رضـوان الله (١١٣) ، وكان يكتب للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم (١١٤) .

٣- التَقيّ

كان ابن رواحة أحد شعراء رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم المحسنين ، الذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ويردّون الأذى عنه ، وفيه وفي صاحبيه حسّان بن ثابت وكعب بن مالك نزلت : (إلاّ الذين آمَنُوا وعَمِلوا الصَالحِاتِ ، وذَكَرُوا اللهَ كَثِيْراً ، وانْتَصروا منْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا) (١١٥) .

وروي عن أبي الدَّرْداء أنّه قال : « رأيتنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في بعض أسفاره ، في اليوم الحار الشديد الحر ، حتى انّ الرجل ليضع يده على رأسه من شدّة الحر ، وما في القوم صائم إلاّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعبدالله بن رواحة » (١١٦) .

وبكى يوماً ابن رواحة ، فبكت امرأته ، فقـال : « مايبكيك ؟ » ، فقالت : « رأيتك بكيْتَ فبكيتُ » ، فقال : « إني قد علمتُ أني وارد النار فلا أدري أخارج منها أم لا » (١١٧) .

(١١١) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٩٧) .

(١١٢) أسماء الصحابة الرواة – ملحق بجوامع السيرة (٣١٠) .

(١١٣) أصحاب الفتيا من الصحابة – ملحق بجوامع السيرة (٣٢٢) .

(١١٤) الاصابة (٤/٦٦) .

(١١٥) الآية الكريمة من سورة الشعراء (٢٢٦و٢٢٧) ، انظر الاستبصار (١٠٨) والاستيعاب (٣/٨٩٨) .

(١١٦) الاستيعاب (٣/٩٠٠) والاستبصار (١١٠) .

(١١٧) الاستبصار (١١٠) .

وروى أبو هُرَيرة ، أنّ النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم قال : « نِعْمَ عبدالله ابن رواحة » ، وعن عبدالله بن عمر أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : « رحم الله ابن رواحة ، كان أينما أدركته الصّلاة َناخ (١١٨) » .

وكان ابن رواحة ، إذا دخل بيته صلّى ، وإذا خرج صلّى (١١٩) .

وعن أنس بن مالك ، قال : « كنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في سفرٍ ، فأصابنا مطر وردَاغ (١٢٠) ، فأمرنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن نصلّي على ظهور رواحلنا ، ففعلنا . ونزل ابن رواحة ، فصلّى في الأرض ، فسعى به رجل من القوم ، فقال : يارسول الله ! أمرتَ الناس يصلّون على ظهور رواحلهم ففعلوا ، ونزل ابن رواحة فصلّى في الأرض ، فبعث اليه ، فقال : ليأتينكم وقد لقي حجّته ، فأتاه فقال له : ياابن رواحة ! أمرتُ النّاس أن يصلّوا على ظـهور رواحلهم ، فنزلت فصليت في الأرض فقال : يارسول الله ! لأنّك تسعى في رقبة قد فكّها الله ، وإنما أنا نزلت لأسعى في رقبة لم تُفَكّ ! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ألم أقل لكم إنّه سيلقي حُجّته » ، وفي رواية أخرى أنه قال : « يارسول الله ! أنا لستُ مثلك ، أنت تسعى في عتق ، ونحن نسعى في رق » ، فلم يُعب عليه ما صنع (١٢١) .

وقال أبو الدَّرْدَاء : « أعوذ بالله أن يأتيَ يوم عليّ لاأذكر فيه عبدالله بن رواحة ، كان إذا لقيني مقبلاً ضرب بين ثدييّ ، وإذا لقيني مدبراً ضرب بين كتفيّ ، ثم يقول : ياعُوَيْمر ! اجلس فلنؤمن ساعة ، فنجلس فنذكر الله ماشاء ، ثم يقول : ياعويمر ! هذه مجالس الايمان » (١٢٢) .

---

(١١٨) تهذيب ابن عساكر (٧/٣٩٠).
(١١٩) الاستبصار (١١٠) .
(١٢٠) رداغ : جمع ردغة . الوحل الكثير .
(١٢١) تهذيب ابن عساكر (٧/٣٩٠-٣٩١) .
(١٢٢) أسد الغابة (٣/١٥٧) .

وكان عبدالله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحابه يقول : « تعال نؤمن بربنا ساعة » ، فقال ذات يوم لرجل ، فغضب الرجل ، فجاء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال: « يارسول الله ! ألا ترى أنّ ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى ايمان ساعة » ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « يرحم الله ابن رواحة ، إنّه يحبّ المجالس التي تتباهى بها الملائكة » (١٢٣) .

وأتى ابن رواحة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهو يخطب، فسمعه وهو يقول : « اجلسوا » ، فجلس مكانه خارجاً من المسجد ، حتى فرغ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من خطبته ، فبلغ ذلك النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال: « زادك الله حرصاً على طواعيّة الله وطواعيّة رسوله » (١٢٤) .

وتزوّج رجل امرأة عبدالله بن رواحة ، فسألها عن صنيعه فقالت : « كان إذا أراد أن يخرج من بيته صلّى ركعتين ، وإذا دخل بيته صلّى ركعتين لايدع ذلك » (١٢٥) .

ودفع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى نفرٍ من أصحابه فيهم عبدالله ابن رواحة يذكّرهم بالله ، فلما رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سكت ، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ذكّر اصحابك» ، فقال: يارسول الله أنت أحقّ مني » ، قال : « أما إنّكم الذين أمرني الله أن أصبر نفسي معهم » ، ثم تلا عليهم: (واصْبِر نَفْسَكَ مع الذين يَدْعونَ رَبَّهُمْ) (١٢٦) ... الآية إلى آخرها ، ثم قال : « وما قعد عدّتكم يذكرون الله إلاّ قعد معهم عددهم من الملائكة ، فان حمدوا الله حمدوه ، وإن سبّحوا الله

(١٢٣) تهذيب ابن عساكر (٣٩١/٧) وانظر الاصابة (٦٦/٤) .
(١٢٤) أسد الغابة (١٥٧/٣) والاصابة (٦٦/٤) وتهذيب ابن عساكر (٣٩١/٧) .
(١٢٥) الاصابة (٦٦/٤) .
(١٢٦) الآية الكريمة من سورة الكهف (١٨ و ٢٨) .

سبّحوه ، وإن كبّروا الله كبّروه ، وإن استغفروا الله آمنوا، ثم عرجوا على ربهم فسألهم وهو أعلم منهم ، فقال : أين ومن أين ؟ فقالوا : ربنا عبيد لك من أهل الأرض ذكروك فذكرناك، قال : ويقولون ماذا ؟ قالوا : ربنا حمَدوك فقال : أوّل مَن عبد ، وآخر مَنْ حمد ، قالوا : وسبّحوك ، قال : مدحي لا ينبغي لأحدٍ غيري ، قالوا ربّنا كبّروك ، قال : لي الكبرياء في السموات والأرض ، وأنا العزيز الحكيم ، قالوا : ربنا استغفروك، قال : إني أُشهدكم أني قد غفرت لهم، قالوا : ربنا فيهم فلان وفلان ، قال : هم القوم لايشقى بهم جليسهم » (١٢٧) .

وقال ابن رواحة لصاحب له : « تعالَ حتى نؤمن ساعةً » ، قال : « أو لسنا بمؤمنين ؟ » ، قال : « بلى ، ولكنا نذكر الله فنزداد إيماناً » ، وكان يأخذ بيد الرّجل من أصحابه فيقول : « قم بنا نؤمن ساعة ، فنجلس في مجلس ذكر » (١٢٨) .

وقد نزلت الآيات الكريمة : (ياأيّها الذينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولونَ مَالاَ تَفْعَلُون . كَبُرَ مَقْتاً عندَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَالاَ تَفْعَلُون . إنْ اللهَ يُحِبُّ الذينَ يُقَاتِلونَ في سَبِيلهِ صَفّاً كأنّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوْص) (١٢٩) في نفر من الأنصار، فيهم عبدالله بن رواحة ، قالوا في مجلسٍ : « لو نعلم أيّ الأعمال أحبّ إلى الله تعالى لعملنا به حتى نموت » ، فلما نزلت فيهم هذه الآيات قال ابن رواحة : « لاأزال حبيساً في سبيل الله حتى أموت » ، فقُتل شهيداً (١٣٠) .

---

(١٢٧) تهذيب ابن عساكر (٣٩١/٧-٣٩٢) .
(١٢٨) البداية والنهاية (٢٥٨/٤) .
(١٢٩) الآيات الكريمة من سورة الصف (٦١ : ٢-٤) .
(١٣٠) تهذيب ابن عساكر (٣٩٢/٧) .

وكانت له أَمَةٌ سوداء ، فغضب عليها ، فلطمها ، ثم إنّه فزع فأتى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فأخبره خبرها ، فقال له : « ماهي ياعبدالله ؟ » ، فقال : « إنها تصوم وتصلي وتحسن الوضوء وتشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّكَ رسوله » ، فقال : « ياعبدالله ! هذه مؤمنة » ، فقال عبدالله : « فوالذي بعثك بالحق لأعتقنّها ولأتزوجنّها » ، ففعل ، فطعن عليه ناس من المشركين وقالوا : « نكح أَمَةً ! » ، وكانوا يريدون أن ينكحوا إلى المشركين وينكحوهم رغبة في أحسابهم ، فأنزل الله فيهم : (ولأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ ولو أَعْجَبَتْكُمْ) (١٣١) .

وبعث رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم ابن رواحة في سرية ، فوافق ذلك يوم الجمعة ، فقدّم أصحابه وقال لهم : « أتخلّف فاصلّي مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الجمعة ثم « ألحقكم » ، فلما صلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رآه فقال : ما منعك أن تغدو مع أصحابك ؟! » ، فقال : « أردت أن أصلّي معك الجمعة ثمّ ألحقهم » ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « لو أنفقت ما في الأرض ما أدركت غدوتهم » ، وفي رواية قال: « لغدوة (١٣٣) في سبيل الله أَو روحة (٣٣) ، خير من الدنيا وما فيها » ، وكان ذلك في غزوة مُؤتة ، فراح عبدالله منطلقاً (١٣٤) .

لذلك كان ابن رواحة ، أول خارج إلى الغزو وآخر قافل (١٣٥) ، فهو

---

(١٣١) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢٢١) ، وانظر ماورد عن ذلك في تهذيب ابن عساكر (٣٩٢/٧) .

(١٣٢) الغدوة : الخروج صباحاً . (١٣٣) الروحة : الخروج مساء .

(١٣٤) تهذيب ابن عساكر (٧ / ٣٩٢ - ٣٩٣) ، والحديث الأخير رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد ، انظر مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي (٢٠٩/٢-٣١٠) .

(١٣٥) الاستيعاب (٨٩٨/٣) وأسد الغابة (١٥٧/٣) .

صاحب المناقب المذكورة في الاسلام والأيام المشهورة (١٣٦) ، وكان من المجتهدين في العبادة (١٣٧) .

لقد كان تَقيّاً نَقيّاً ، صالحاً ورعاً ، بذل قصارى جهده في تطبيق تعاليم الاسلام في العبادات ، فكان صوّاماً قوّاماً ذاكراً لله شاكراً لأنْعُمه ، وبذل قُصارى جهده في تطبيق تعاليم الاسلام في الجهاد ، فما تخلّف عن غزوة من غزوات النبي صلّى الله عليه وسلّم ، وكان أوّل خارج وآخر قافل ، وأخيراً بذل روحه رخيصة دفاعاً عن الاسلام، فوقع شهيداً في معركة مُؤتَة ، عليه رحمة الله .

الشهيد

استُشهد عبدالله بن رواحة في سرية مُؤْتَة التي كانت في شهر جمادى الأولى من السنّة الثامنة الهجريّة ، كما ذكرنا .

ولم أجد في المصادر التي اطّلعت عليها سنة مولد عبدالله بن رواحة ، كما لم أجد كثيراً عن أهله ، سوى أن أمّه كَبْشَة بنت واقِد الخزرجيّة وابنتها عَمْرَة بنت رَوَاحة الخزرجية ، كانتا من النساء المبايعات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (١٣٨) .

وعَمْرَة بنت رواحة ، أخت عبدالله بن رواحة ، هي زوجة بشير بن سعد وأم النُعمان بن بشير ، وهي التي ذكرها النّعمان في حديثه قال : « نحلني(١٣٩) أبي نخلاً ، فقالت أُمي عَمْرَة بنت رواحة : لا أرضى حتى يشهد عليَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم » .

(١٣٦) تهذيب ابن عساكر (٣٩٠/٧) .

(١٣٧) الاستبصار (١١٠) .

(١٣٨) العبر (٤٢٠-٤٢١) .

(١٣٩) نحلني : أعطاني .

وعَمْرَةَ هذه هي التي كان يشبِّب بها قيس بن الخطيم الأوْسِيّ قبل الاسلام ، وإيّاها عنى بقوله .

وعَمْرَةَ من سَرَواتِ النِّسـاء
تَنَفّح بالمِسْك أَرْدَانُها (١٤٠)

فما رَوُضَةٌ من رياضِ القَـطا
كأنّ المصابيح حَوْذَانُهـا (١٤١)

بأحسَنَ منهـا ولا مزنَـةٌ
دلوج تكشّف أدجانُهـا (١٤٢)

وروى أنّ النُّعمان بن بشير دخل مجلساً فيه رجل يغني بهذا الشعر ، فأسكتوه حين دخل النعمان ، فقال النّعمان : « ماقال إلاّ حقاً ، ولم يقل سوءاً » (١٤٣) .

ولم يعقب ابن رواحة عليه رحمة الله (١٤٤) ، وقد رثاه حسّان بن ثابت شاعر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ورثى شهداء مُؤْتَة في قصيدة طويلة ، منها :

تَـوَبَنِي لَيْلٌ بيَثْرِبَ أَعْسَرُ
وهَمٌ إذا مانَوَّمَ الناسُ مُسْهِرُ (١٤٥)

---

(١٤٠) السروات : جمع سراة ، وهم الأشراف من القوم ، والاردان : جمع ردن ، وهو الطرف الواسع من الكم . وتنفح : تفوح .

(١٤١) رياض القطا : موضع ، والحوذان : نوع من الزهر بديع الألوان ينبت في البادية .

(١٤٢) المزنة : السحابة الممطرة . والدلوج : الواسعة الممتلئة . « أدجانها : ظلماتها » .

(١٤٣) الاستبصار (١١٢ – ١١٤) وانظر المعارف (٢٩٤) .

(١٤٤) أسد الغابة (٣/١٥٩) .

(١٤٥) تأوبني : عادني ورجع الى ، وأعسر : شديد العسر ، ومسهر : داع الى السهر ومانع من النوم .

لِذِكْرى حَبِيْبٍ هَيَّجَتْ لِيَ عَبْرَةً
سفوحاً ، وأسبابُ البُكَاءِ التذكّرُ

بَلَى إنَّ فُقْدانَ الحبيبِ بَلِيَّــةٌ
وكمْ من كَرِيمٍ يُبتَلَى ثمَّ يَصْبِرُ

رأيتُ خِيَارَ المؤمنينَ تَوارَدُوا
شَعُوب وخَلْفاً بعدهم يتأخّرُ (١٤٦)

فلا يُبْعِدَنَّ اللهُ قَتْلَى تتابعوا
بمؤتةَ منهم ذو الجناحين جعفــــرُ

وزيدٌ وعبدالله حين تتابعــوا
جميعاً وأســبابُ المَنِيّة تَخْطُرُ

في قصيدة طويلة (١٤٧) .

وقال حسّان بن ثابت يرثي عبدالله بن رواحة ، وزيد بن حارثة الكلبي :

عَيْنُ جُودِي بدمعِكِ المنْزُورِ
واذْكُرِي في الرَّخاءِ أهلَ القُبورِ (١٤٨)

واذكُرِي مُؤْتَةً وما كانَ فيها
يومَ راحُوا في وَقْعَةِ التّغْوِيرِ(١٤٩)

حين راحُوا وغادَروا ثَمَّ زَيْداً
نِعْمَ مأوَى الضَّرِيكِ والمأسور (١٥٠)

---

(١٤٦) الشعوب : المنية . وخلفاً : الذي يأتي بعدهم .
(١٤٧) سيرة ابن هشام (٣/٤٤١) والبداية والنهاية (٤/٢٦٠) .
(١٤٨) المنزور : القليل ، وذلك لأنه بكى حتى فرغ دمعه .
(١٤٩) التغوير : الأسراع ، يريد الانهزام .
(١٥٠) الضريك : الفقير .

حِبّ خيرِ الأنام طُرّاً جميعاً
سيّدِ الناسِ حُبُّهُ في الصدور
ذاكُمُ أحْمَدُ الذي لا سِواهُ
ذاكَ حُزْنِي له معاً وسُرُوري
إنّ زيداً قد كان منّا بأمْرٍ
ليس أمْرَ المكَذّبِ المَغْرورِ
ثُمّ جُوْدِي للخَزْرَجِيّ بِدَمْعٍ
سيّداً كان ثمّ غير نَزُوْرِ (١٥١)
قد أتانا من قتلهم ما كفانا
فبحُزْنٍ نبيْتُ غَيْرَ سُرُورِ (١٥٢)

وقال شاعر من المسلمين ممّن رجع من غزوة مؤتة :

كَفَى حَزَناً أنّي رَجَعْتُ وجَعْفَرٌ
وَزَيْدٌ وعبدُالله في رَمْسِ أقْبُرِ
قَضَوْا نَحْبَهُمْ لمّا مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ
وخُلِّفْتُ للبَلْوَى مع المُتَغَبِّرِ (١٥٣)
ثلاثةُ رهطٍ قُدِّموا فتقدّموا
إلى وِرْدِ مَكْروه من الموت أحمرِ (١٥٤)

والشعر في رثائه ورثاء شهداء مؤتة كثير.

---

(١٥١) أراد بالخزرجي عبدالله بن رواحة ، والنزور : القليل العطاء .
(١٥٢) سيرة ابن هشام (٣/٤٤٦) . (١٥٣) قضوا نحبهم : يريد ماتوا ، وأصل النحب النذر ، والمتغبر : الباقي .
(١٥٤) سيرة ابن هشام (٣ / ٤٤٦ - ٤٤٧) .

ومضى عبدالله إلى رحاب الله ، وبقي ذكره في بطون الكتب ، ومثله يستحق الثناء المستساب .

القائد

شهد ابن رواحة بيعة العَقَبة الثانية ، وكان ليلتئذ نقيب بني الحارث ابن الخزرج ، وشهد بدراً وأُحُداً والخندق والحُدَيْبيَة وخَيْبَر وعُمْرَة القَضاء والمشاهد كلها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلاّ غزوة الفتح ومابعدها ، فانّه كان تُوفي قبلها يوم مُؤْتَة ، وهو أحد الأمراء في مُؤْتَة ، وكان أوّل خارج إلى الغزوات وآخر قادم (١٥٥) .

وقال ابن رواحة : « لاأزال حبيساً في سبيل الله حتى أموت » (١٥٦) ، وكانت الشّهادة في سبيل الله من أعزّ أمانيه (١٥٧) .

لقد كان من هواة الجهاد ، يحفزه اليه عقيدته الاسلاميّة ، ورغبته الصّادقة في نيل أجر المجاهدين في سبيل الله ، والشهداء لاعلاء كلمة الله ، فهو الذي شجّع المسلمين في سرية مؤتة على لقاء الكفّار ، وكان المسلمون ثلاثة آلاف ، والكفار مائتي ألف (١٥٨) : مائة ألف من الروم بقيادة هِرَقْل قيصر الرُّوم . ومائة ألف من العرب بقيادة رجل من بَلِيّ ثم أحد إراشَة يقال له : مالك بن زافلة ، فلما بلغ ذلك المسلمين ، أقاموا على مُعَان ليلتين يفكِّرون بأمرهم ، فشجّع النّاسَ عبدالله بن رواحة وقال : « ياقوم ! والله إنّ التي تكرهون لَلّتي خرجتم تطلبون الشّهادة ، وما نقاتل الناس بعَدَدٍ ولا قُوّة ولا كثرة ، ولا نقاتلهم إلاّ بهذا الدِّين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فانّما هي إحدى الحُسنَيين : إمّا ظهور ، وإما شهادة » (١٥٩) .

---

(١٥٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/٢٦٥) . (١٥٦) تهذيب ابن عساكر (٧/٣٩٢) .
(١٥٧) الاستيعاب (٣/٨٩٨) . (١٥٨) تهذيب الأسماء واللغات (١/٢٦٥).
(١٥٩) سيرة ابن هشام (٣/٤٢٩-٤٣٠) .

ومهما قيل في مبالغة الذين سجّلوا تَعداد الروم وحلفائهم ، فانّ الحقيقة تبقى واضحة للدارسين ، بأنّ الروّم وحلفاءهم كانوا أضعاف تعداد المسلمين ، كما أنّهم يقاتلون في بلادهم دفاعاً عنها ، بينما يقاتل المسلمون بعيداً عن قاعدتهم الرئيسة : المدينة ، وبذلك تكون المزايا العسكرية في التفوق العَدَدِيّ والعُدَدي وفي قرب قواعد الروم إلى قوّاتهم المقاتلة ، هذه المزايا مع الروم على المسلمين بلا مراء .

وفي هذه الحالة ، وبمثل هذا الموقف ، وبموجب المقاييس الماديّة وحدها ، فانّ تشجيع المسلمين على اقتحام الروم وحلفائهم بالرغم من تفوّق الروم العَدَدي تفوقاً ساحقاً على المسلمين ، وقرب قواعدهم من قوّاتهم المقاتلة ، وخبرتهم الطويلة في فنون الحرب بشكل أفضل بكثير من خبرة أولئك المسلمين القادمين من أعماق الصحراء ، يمكن اعتباره بموجب المقاييس الماديّة وحدها مجازفة من المجازفات الخطيرة التي تؤدي الى التهلكة ، ويمكن اعتباره خطأً فاحشاً من الأخطاء العسكرية الفاحشة أيضاً .

ولكنّ المقاييس الماديّة تطبّق على الذين يعتمدون الوسائل المادية وحدها في حروبهم أما الذين يحاربون حرباً عقائدية جهاداً في سبيل الله ، ودفاعاً عن عقيدتهم وعن حريّة انتشارها ، فلا تطبّق عليهم المقاييس الماديّة وحدها التي تطبّق على غيرهم في حروب استثماريّة أو توسعيّة أو من أجل أمجاد شخصيّة وأحقاد عنصريّة أو طائفية ، وعلى ذلك فلا تُطبق هذه المقاييس الماديّة على أمثال عبدالله بن رواحة ، لأنّهم كانوا يخوضون حرباً عقائدية لادخل للمادة فيها من قريب أو بعيد ، وإلاّ فماذا يمكن أن يقال في غزوة بدر الكبرى الحاسمة بالنسبة للمقاييس المادية وحدها ، وكان تفوق المشركين على المسلمين بنسبة ثلاثة على واحد في الاشخاص وبنسبة مائة على واحد بالخيل والخيل أنجح سلاح في الحروب القديمة ؟ ؟ !

لقد حرّض عبدالله بن رواحة المسلمين على القتال لأغراض عقائدية ، فكان تحريضه خطأ بالنسبة للمقاييس المادية ، ولكنه كان عين الصواب بالنسبة للجهاد والحرب العادلة التي كان يخوضها المسلمون حينذاك .

وتشجيع عبدالله بن رواحة المسلمين على قتال الروم وحلفائهم ، واستجابة المسلمين لهذا التشجيع ، له دلالة لا يمكن أن يختلف فيها اثنان ، هي أنّه كان يثق ثقة عالية برجاله ، وأنّ رجاله كانوا يثقون به ثقة مطلقة ، والثقة المتبادلة بين القائد ورجاله من أهم مزايا القائد المتميِّز .

ولا يمكن أن يثق الرجال بقائدهم ثقة مطلقة عفواً وبدون أسباب ، كما أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كان لا يولي المراكز القياديّة إلاّ لأشخاص لهم مؤهلات عالية ومزايا واضحة المعالم ، فقد كان عليه الصّلاة والسّلام يحرص أعظم الحرص على تولي الرجل المناسب للعمل المناسب تطبيقاً لتعاليم الاسلام في الولاية ، وثقة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعبدالله بن رواحة ، وثقة رجال عبدالله بن رواحة به ، أسبابها وحوافزها واحدة ، هي تمتّع عبدالله بن رواحة بالأضافة إلى عمق إيمانه بمزايا قياديّة أهّلته لأنّ يكون أحد قادة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وأن يستحوذ على ثقة رجاله المطلقة .

ويمكن إيجاز مزاياه القيادية ، بأنه كان قادراً على إصدار القرار السريع الصحيح ، فهو من القلّة النادرة التي تحسن القراءة والكتابة ، في وقت كان لا يحسن فيه القراءة والكتابة في المجتمع السائد حينذاك إلاّ القلائل الذين يعدّون على الأصابع ويشار إليهم بالبنان ، مما يدل على ذكائه الألمعي .

وكان شجاعاً مقداماً ، أثبت جدارة في كلّ الغزوات التي خاضها تحت لواء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، كما كانت مهمّةُ تلك السرية مهمةً صعبة للغاية لا يقدر عليها غير الفدائيين المغاوير الشجعان .

وكان يتحلّى بارادة قويّة ثابتة ، وقد ظهرت إرادته التي لاتتزعزع قُبَيْل سرية مُؤْتَة ، إذ تردّد الأكثرون ولم يتردّد الأقلّون، وعلى رأسهم عبدالله بن رواحة ، الذي أصرّ على مجابهة الرُّوم وحلفائهم ، فكان اه ما أراد .

وكان له نفسيّة لاتتبدل في حالتي النصر والاندحار ، يعرف نفسيات رجاله وقابلياتهم ، يحبّ رجاله ويحبونه ، له شخصيّة قويّة نافذة ، وقابلية بدنيّة فائقة ، وماضٍ ناصع مجيد حسباً ونسباً وفي خدمة الاسلام والمسلمين ويتحلّى بأعلى درجات الضّبط المتين والطّاعة .

وكان يعرف مبادئ الحرب ويطبّقها بفطرته التي لا تخطئ ، فهو يطبّق مبدأ : اختيار المقصد وإدامته ، لايحيد عنه أبداً ، ويسعى لتحقيقه بكل ما يستطيع من قوّة وجهد وعزم ، وكانت معاركه تعرضيّة كلّها ، لم يدافع أبداً ولم يطبق الدفاع في القتال .

وكان يطبّق مبدأ : المباغتة ، وقد باغت اليهوديّ ومَنْ معه ، فاستطاع التغلّب عليهم ، والقضاء على نشاطهم التخريبيّ .

وكان يطبّق مبدأ : الاقتصاد بالقوّة ، فهو يعتقد بحق أنّه ينتصر على أعدائه بقوّة عقيدته وضعف عقيدتهم لا بعَدَد أو عُدَّه .

وكان يطبّق مبدأ : الأمن ، لذلك استطاع أن يباغت أعداده ، ولم يستطع أعداؤه أن يباغتوه .

وكان يديم المعنويات ، بل كان بحق كتلة من المعنويات ، يقاتل بشعره كما يقاتل بسيفه ، ويرفع المعنويات بالعقيدة الرّاسخة والايمان العميق .

وكان يساوي نفسه برجاله ، ولا يتميّز عليهم بشيء ، ويستشيرهم في كلّ خطوة يخطوها أو عملية ينفّذها .

تلك هي سماته القيادية التي جعلت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يوليه مركزاً قيادياً ، وجعلت أصحابه يثقون به ويعتمدون عليه ، وهو حريّ بالثقة والاعتماد .

ابن رَوَاحَة في التاريخ

يذكر التّاريخ لابن رواحة ، أنّه شهد بيعة العَقَبَة الثانية في ضواحي مكّة مع الذين اسلموا من الأوس والخزرج من أهل المدينة ، وأنّه بايع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في العقبة مع إخوانه المبايعين ، وأنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم اختاره ايلتئذٍ نقيباً على بني الحارث بن الخزرج قومه من الخزرج .

ويذكر له ، أنّه شهد بَدْراً وأُحُداً والخَنْدَق والحُدَيْبِيّة وخَيْبَر وعُمْرَة القَضَاء والمشاهد كلّها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إلاّ الفتح وما بعدها فانه توفّي قبلها بيوم مُؤْتَة .

وأنّه كان قائد سرية من سرايا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى أحد أعداء الاسلام والمسلمين من يهود ، فاستطاع إزاحته عن طريق الاسلام والمسلمين .

وأنّه كان أحد الأمراء الثلاثة الذين سمّاهم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في معركة مُؤْتَة ، وأنّه استُشهد في تلك المعركة التي خاضها المسلمون على الرُّوم وحلفائهم .

ويذكر له ، أنّه كان أحد الشعراء المحسنين الذين يردّون الأذى عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والاسلام والمسلمين .

ويذكر له ، أنّه كان صاحب مجالس الذكر ، يشجّع إخوانه على عقدها لتجديد حوافز الايمان .

ويذكر له ، أنّه كان من الصالحين الورعين التُّقاة الأبرار الصّحابة في علمه وعمله واجتهاده في العبادة .

رضي الله عن العَقَبيّ النّقيب ، الصحابيّ الجليل ، القائد الشُجّاع ، الشاعر المجيد ، البطل الشّهيد ، عبدالله بن رَواحة الأنْصارِيّ الخَزْرَجِي .

الجزء الثاني المجلد الخامس والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي



رجب ١٤٠٤ هـ
نيسان ١٩٨٤ م

الفهرس

